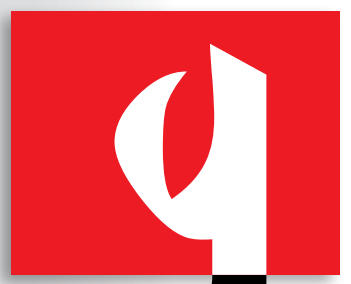


عائكة الخزرجي



المادة

من زمن التوهج



رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

عزى ليع

العدد (2896) السنة العاشرة
الخميس (19) ايلول 2013

[WWW. almadasupplements.com](http://WWW.almadasupplements.com)

4

عائكة الخزرجي شاعرة
الشوق والحنين والألم



عاتكة الخزرجي قيثارة العراق

شاعرة وقت الشفق.. حاملة عند الغسق

سيار الجميل

" وهل عندكم في الحب بعض الذي عندي "

عاتكة



محاضرتها عن العباس بن الاحنف وشعره قد جعلتنا نسبح في بحر من الرومانسية برغم العوالم الكلاسيكية الرحبة وقرأت قصائده وقصائدها بصوت لم يزل يرن في اعماقي ..

معلومة تاريخية غير معروفة

كنت اسمع شعر عاتكة وهي تنشده بكل قوة واعتزاز وقد تملكنت من ناصية اللغة العربية .. تستلهم من خزرجيتها اصالة التلوين وعراقة التكوين .. قلت في نفسي : حبذا لو غدت كل نسوتنا العربيات كهذه العاتكة الخزرجية العربية .. وهنا اعلن للتاريخ ولاول مرة انني وجدت في دفاتر قديمة كان قد تركها جدي الاديب المصلح علي الجميل عضو المنتدى الادبي في مكتبته معلومات تشير الى ان وهي الامين الذي تسمت

وقد بانست الكهولة عليها ، ولكنها لم تفتر عن اهتمامها بنفسها ومكياجها وملابسها المبهجة الملونة .. اذ كانت ترى في ذلك جمالية من نوع خاص بها كفنائة تختلف عن بقية الناس . قدمها لنا رئيس الجامعة بعد ان حياها بكلمة قصيرة ذكرنا بروائعها ، ثم خطت خطواتها معتلية المسرح وبدأت بعد ان ران الصمت ثانية الا من كلماتها التي جعلتنا نغرد معها في فضاء من الموحيات الجميلة في مناخ ملائكي رائع .. تذكرت البحري في صوره عن الطبيعة وخمائلها الجميلة ، وطرق سمعي العباس بن الاحنف التي لم يعن به احد كعناية عاتكة بسيرة حياته وبشعره الرائع .. تذكرت جرير وانا احرك يدي مع موسيقى عاتكة بكل عذوبة الانشاد وحلاوة الكلمات وطلوتها .. كانت

نرص انفسنا رصا في قاعة كبرى بانتظار اطلالتها .. كانت صورتها في مخيلتي انها تعشق الالوان والبهرجة والالبسة الجميلة .. كان الصمت يخيم في تلك القاعة التي امتلأت بنا نحن طلبة واساتذة في واحد من ربيع بداية عقد السبعينيات ، وقد بدأ الموسم الثقافي لجامعة الموصل ، اذ كان من تقاليده وقت ذاك دعوة كبار المثقفين والمبدعين العرب لسماع ما يقولونه لنا .. دخلت برفقة رئيس جامعتنا وكان مثقفا بارعا قبل ان يكون رئيسا قديرا ، انه الدكتور محمد صادق المشاط (المقيم في كندا حاليا والذي اعتز بصداقته اليوم اعتزا كبيرا) وضجت القاعة بالتصفيق وقام كل من كان جالسا احتراما لشاعرة مبدعة ذاع اسمها في الافاق .. جلست والابتسامه تملأ وجهها

الكلاسيكي القديم وهي صاحبة الصوت الرخيم في غناء الشعر .. تموسقه بكل هدوء ورقة عندما تقرأه كالحالمين. انها تنتمي الى ابرع جيل عراقي مثقف من اجيال القرن العشرين .. ذلك الجيل الذي توهج عند منتصف القرن العشرين .. وقد انسحق انسحقا كاملا عند نهاياته على عهد الطاغية ويا للأسف الشديد ! سمعت باسمها وانا في طور التكوين عندما كنت التهم الشعر واختار من اعذبه واكذبه ..

الذكرى القديمة

التقيت بها مرة واحدة في حياتي وانا على مقاعد الدراسة في واحد من مهرجانات الشعر والادب والثقافة التي كان العراقيون يعشقونها .. كنا

تقديم شاهد الرؤية : من لم يسمع باسمها ؟ ومن لم يقرأ شعرها الرقيق ؟ انها الشاعرة التي تذكرني بالشفق المخملي عند الاصيل .. انها الحاملة عند الغسق الرائع عندما تصفو الحياة من وعنائها .. انها ابنة العراق التي طارت شهرتها في القرن العشرين .. انها المثقفة الادبية التي رفدت الشعر العربي بروائع ستخلد اسمها في التاريخ .. انها المرأة المتמسسة في صنع اجيال من المبدعين .. نعم ، عاتكة وهي الخزرجي التي وهبت كل ما وهبها الله للادب العربي شعرا ونثرا .. وهي الاستاذة الجامعية المتمكنة من تاريخ الادب العربي في عصره

عائكة الخزرجي والعراقية بين السفور والحجاب



للمعلمات والمديرات. كيف يجوز للتلميذة الصغيرة ان تطالب معلمتها بنزع عبايتها؟ المفروض ان المعلمة هي التي تعلم الطالبات وليس الطالبات يعلمن المعلمة. حدث هذا المازق بالنسبة لمعلمة اللغة العربية السيدة عائكة وهي الخزرجي، الشاعرة والاديبية المعروفة. كانت من عداد المحجبات، تحضر للمدرسة كل يوم بالعباءة. واجهت الضغط الكبير من زميلاتهن، ولا سيما انها كانت في غير ذلك معروفة كأديبة متحررة تتجارب مع متطلبات العصر الحديث و تدعو لتحرر المرأة و مساواة المرأة.

ظل الجميع يتسائلون، متى تنفض عائكة الخزرجي العباءة من رأسها و كتفيها و تخرج من البيت و تقطع شارع الأمام الأعظم و تمر من امام جامع الأمام ابو حنيفة و تأتي الى المدرسة سافرة بالثبورة و البلوز. ولكن هذا السؤال لم يدم طويلا. ففي يوم مشهود من تاريخ المدرسة، ثانوية الأعظمية للبنات، شاع الخبر في سائر الصفوف و غرف الإدارة و المعلمات، بل وحتى الفراشات و الفراشين، بأن الاستاذة عائكة قررت اخيرا نزع العباءة و المجيء سافرة للمدرسة. تروي احدي طالباتها فتقول انه كان يوما مشهودا في هذه الحارة المحافظة من الأعظمية، عندما تزاحمت المعلمات و الطالبات في باب المدرسة و ساحاتها صباح ذلك اليوم المشهود انتظارا لوصول عائكة وهي الخزرجي سافرة بفساتن عصري جميل يعرض قوامها الرشيق و قامتها الطويلة القراء. اطلت بعضهن من شبابيك الطابق العلوي للمدرسة ليحظن بمشاهدة ذلك المنظر، و ربما ليأخذن صورا فوتوغرافية له.

فتح الفرائش ابو حسين الباب الخارجية للأستاذة فمسكت الطالبات انفسهن إذ لاحت امامهن معلمتهن الفاضلة، ليست سافرة فقط، بل و وضعت على رأسها بدلا من العباءة و الحجاب، وضعت قبعة عصرية جميلة اشترتها من اورزدي بك. همست الطالبات بصوت واحد: "يا ويلي! و لابس شفقة!" و كانت ايام و فانت، ايام الخير، ايام الحرية و التحرر، ايام المرأة العراقية المتحررة، الوثيقة من نفسها و حقوقها. و هات يا عمي من يرجعها.

عن كتاب حكايات عراقية
للال خيري العمري

محراب تصوفي لا اول له ولا اخر .. تذكر ان ربة الشعر تنزل عليها من اعالي السماوات على كل حين حيث يخيل اليها ان ثمة انجذاب وتعلق بها وهي من اسعد الناس بذلك . اصدت عائكة عدة دواوين شعرية ، منها : " ديوان نوراني " في العشق الالهي وقصائدها روحانية نورانية تقارب المثنى قصيدة . وديوان " قصائد آخر " ، وديوان " من القلب الى القلب " وفيه معان انسانية خصبه تزخر بها رقة الشاعرة وشفافيتها . ومسرحية " علية بنت المهدي " الاميرة الشاعرة والموسيقارة المغنية .. ومن كتبها في الادب العربي : " من روائع الشعر العربي " وكتاب " من روائع الشعر الفرنسي " وكتاب " في أجواء الاثير " وكتاب " نسيب الشريف الرضي " وغير ذلك من المحاضرات والاعمال .

نماذج ونصوص رائعة

ولابد ان اختتم مقالتي ببعض المعاني الزاخرة التي انشدتها عائكة الخزرجي في شعرها الذي نال اهتماما كبيرا من لدن المهتمين والمتقنين والادباء العرب فضلا عن بعض المسؤولين والرؤساء ، قالت وهي تنشد :

تمهل . ابيت اللعن . جرت على القصد
فليس مثلي أن تقابل بالصد
بلادك . ان ترشد . بلادي وانها عشيري
وأحبابي وأنفس ما عندي
هو اي بها ، ما حدث عن حبها وحاشا
لمثلي أن تحيد عن العهد
وكيف وقد ملكتها كل مهجتي واني
لاخفي في الهوى فوق ما ابدى
هو اي بها ، اني نذرت جوانحي الى
كل شبر في العروبة ممتد
اليكم ، الى الصحراء ، للرمل ، للربي
لموج الخليج الر ، للروح من نجد
لمكة ، للبطحاء ، للخيف من منى لسيناء
، للجولان ، للقدس ، للخلد
الى كل عرق في العروبة نابض وكل
فؤاد يذكر الله بالحمد
الى تونس ، او الجزائر ، للهوى
بمغربنا الاقصى القريب على البعد
يمينا لقد أحببتكم حب زاهد وأعنف
أهواء المحبين في الزهد

ونظمت في موضوع اسمته "امانة"

يهون عليك اليوم مثلي ولم أكن
لأحسب يوما أنني ساهون
يلذ لكم نلي فانكر عزتي لديكم ويقسو
قلبكم وألين
فحتام أرجو و الرجاء يخونني و قلبي
على العلات ليس يخون؟
فديتك ، هل ترجى مثلي شفاعة لديك
وهل لي في هواك معين
وكيف اصطباري عنك و الشوق عتني
وأمر أعياني فليست أبين
وهذي النوى ترمي المرامي بيننا
وتلك سهول دوننا وحزون؟
تمنيت لو أنني وأياك لتلقي لو ان المنى
مقضية فتكون
وان يلتقي طرفي وطرفك لحظة
فترتاح نفس أو تقر عيون
والا فطيف من خيالك طارقي اذا جن
ليل واستثير حنين
فديتك ، ذا قلبي لديك أمانة وأنت عليها
، ما حبيت ، أمين

فصل من كتاب نسوة ورجال
للكاتب سيار الجميل

ابنته عائكة بالخرجي كان صديقا له عندما حل متصرفا في الموصل على العهد العثماني وكان يتميز بأرائه الغريبة والعناد في رأيه عليها الى درجة تثير السخرية .. وكان هذا قبل ان تلد عائكة بسنوات طوال فقد علمت ان عائكة من مواليد ١٩٢٤ ..

التكوين المتنوع منذ البواكير

بدأت موهبتها الشعرية الخارقة منذ مراهقتها لتنافس مجنون ليلي لشوقي الذي عشقت شعره . لقد تعلمت في العراق الذي كان على العهد الملكي يهتم بالمتقنين والمبدعين اهتماما لا يضاهي ، وذهبت الى باريس وتعلمت الفرنسية لتكمل دراستها ، وبدأت تقرأ وتطلع على الادب العالمية وتدرج معاني الحياة الجديدة ومعتز التفكير الحديث وشغلت هناك دورا رائعا في قول الشعر والتف المتقنون العرب من حولها ، وعملت على شعر العباس بن الاحنف كثيرا وكتبت اطروحتها عنه بكل حب واعجاب ، وبقيت طوال حياتها تذكره وتغني ابيات من شعره الجميل .. ورجعت الى بغداد لتغدو واحدة من مثققاتها اللواتي برزن بابداعاتهن وقد شكلن ثقلا متنوعا في الساحة النسوية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين .

عاشقة بغداد

لقد تخرج على يديها العدد الكبير من المثقفين والادباء والمبدعين والمبدعات ، وكانت استاذة ماهرة يعشق سماع محاضراتها الكبار والصغار .. كانت تهتم بموسيقى الشعر ورقته وترعى كل من تتلمس لديه موهبة الشعر ، وتشدد عليه حتى يصفو شارب . وكان لها دورها الثقافي المتميز من خلال حواراتها وما تنشره من قصائد كنا نترقبها لتغدو حديثا بيننا نحن الشباب من المثقفين في اوائل تكويننا .. كانت عائكة عاشقة لبغداد وهي تسكن في بيت اتيق تعتني به عناية فائقة مع نباتاتها وازهارها واوراقها وكتبها وصورها التي تعشقها كثيرا .. لم تستطع عائكة فراق بغداد ، ولكنها بارحتها وهي كلمى حزينة ولم ترجع اليها لأنها كما علمت قد تعذبت و ألم بها القهر والاسى ، ولا ادري اين هي الان ، اذ ادعو المثقفين العراقيين اليوم ان يهتموا بها وبكل رموز العراق التي ابدعت و انتجت روائع الاعمال .. من وقد اجادت عائكة حين انشدت :

بغداد ان ازف الوداع وصاح بي داعي
الرحيل مناديا بنواك
وشددت من فوق الحشا واستعبدت
عينان لم تدر البكا لولاك
لهواك زادي بل لقاك تولهي والعيش
ان احيا على ذكراك
لولاك يا بغداد ما اخترت النوى
وتركت امي والحمى لولاك

العزلة الروحانية: الدواوين والاعمال

عائكة تحب العزلة من اجل المناجاة وتذكر بانها عرفت الله ومن ثم عرفت نفسها من خلال وحدتها التي تصفو نفسها فيها من كل الاكدار .. وقد كان لذلك تأثيره في ينبوع صفاتها يذكرها الله كثيرا في قصائدها وكأنها في



في اربعينية مصطفى جواد

عائكة الخزرجي شاعرة الشوق والحنين والألم

محمد عيد الخربوطلي

باحث سعودي

دواوينها، ففي قصيدتها- بين يدي الله- تعترف أن لغتها وبيانها أعجز من أن يصف حبها لله فهي تقول:
أحبك لو صبح أن الهوى تترجمه أحرف أو معان
أحبك للحب لو أعربت عن الحب قافية أو بيان
أحبك رباه فوق الهوى أيا من به كنت والحب كان
جمالك يارب عم الوجود فليس لقبج به من مكان
كذلك كان للشعر القومي مساحة جيدة في دواوينها، وتأتي قضية فلسطين في الصدارة، ففي قصيدتها- سيروا إلى الحرب- تستثير نخوة العرب وحميتهم وحاستهم مذكرة إياهم بأجادهم الغابرة:
أن الجهاد بساح المجد يا عرب فذي فلسطين تدعوكم وتنتحب
اليس عاراً علينا أن نفرّ ونزي ديارنا في يد الشذاذ تنتهب
خلقت عائكة الخزرجي أكثر من عشرة كتب ما بين شعر وقصة ومسرحية ودراسة وتحقيق، وطبع شعرها في مجموعة كاملة بلغت سبعة أجزاء عام ١٩٨٦.
عن موقع ادب ونقد الإلكتروني

ما كان نبي سيدي إنا بلا نذب نرد مولاي هذه مهجتي من حر ما فيها تقد
رحماك لو أسيتها وجميل عطفك لا يحد
وبعد أن عانت كثيراً من الهجر وأقعدتها المرض في السرير تمننت زيارته ولو مرة واحدة، فهاهي تناجيه قائلة:
هذي فتاتك في السرير تذوب من وجد وحسره
تهفو إلى لقياك ظمأى تستقي غاديك قطره
ماذا عليك إذا عطفك وزرنتا في العمر مره
ولما تركها وبعد عنها من غير رجعة، أنذرته بأنها ستسأى عنه وتذهب إلى غير رجعة كما يذهب الطيف في لمح البصر، وسيبقى هو وحده يعصره الألم:
سأسأى سأذهب لا رجعه ترجى لحيي ولا أي عوده
سأذهب كالطيف في لمح سأنأى ويبقى حبيبي وحده
مع أن عائكة لم يقتصر شعرها على الحب ووصف تباريحه فحسب، بل كان للشعر الصوفي مساحة في

أما هو كفلست من أنساه يوماً إذا نسي المحب هواه
أواه! لوتدريين ما فعل الجوى بحشاشنة عزت عليها الآه
يدري الهوى خيري ولا من لائم فهو ك مايدعو إليه الله
ولما تركها الحبيب وهجرها كاد أن يقضي هذا الهجر على توهج الحب الكامن في قلبها، فتقول بعد زيارته لها قبل الهجر:
ألم بنا ما كان أحلى وأجمل فما ضر لو دارى ودأوى وعلا
وما هي إلا غمضة وانتباهة أمرت علينا كل ما كان قد حلا
لقاء وشيك ثم بين على المدى فيا للنوى للقلب ما كان أقتلا
وتسعطف الحبيب الذي بذلت له النفس رخيصة ومع ذلك غدر بها وهجرها فكابدت آلآم الهجر، ومرارة البعد، فقالت:
أمولاي فيم الهجر فيم التبعاد وحتام أقصى في الهوى وأكابد
أمن بعد بذل النفس فيك رخيصة تشكك حتى أعوزتك الشواهد
وتسأل حبيبها لماذا ردها خائبة، دون نذب منها مع أن روحها تشتعل بحرارة الحب، فتتمنى لو يرحمها، فتقول:

وأخر الثمانينيات، ووافها الأجل عام ١٩٨٨ عن أربعة وسبعين عاماً. في شعرها نزعة تقليدية وتأثر واضح بالمتنبي والعباس بن الأحنف، قالت عنها روز غريب: مع أن عائكة نهلت من ثقافات مختلفة، فقد رأت أن تحصر منابع وحيها من الأدب العربي، وبشكل خاص القديم منه.
قالت عائكة الشعر ونشرت بعضه في الصحف وهي في الرابعة عشرة من العمر، وقد قال عنها الأستاذ عيسى فتوح: يغلب على شعرها الحنين والشوق إلى الحبيب والوطن والأم ولا سيما في غربتها الباريسية، فلم تجد باريس بلد الحضارة والفتنة والجمال، بل رأتها صحراء قاحلة لم تعوضها عن مرأى العراق وقراته الساحر فتقول:
أواه لو تدريين كم ضاقت بها سبل الحياه
وبدت لها بنت الحضارة وهي أقفر من فلاح
وتشوقت تبغي الفرات فلم تجد إلا صداد
وتذكرت أمها التي تركتها في العراق وهي بعيدة عنها، وحيدة، ولعب شوقها إليها فقالت:

ولدت الدكتورة عائكة وهبي الخزرجي في بغداد عام ١٩٢٤ وهي شاعرة وكاتبة مسرحية وأستاذة جامعية عراقية معروفة.
بعد ولادتها بستة أشهر توفي والدها الذي ينتسب للخزرج، فربتها أمها أحسن تربية وأرضعتها الحنان العظيم وأدخلتها المدرسة، وأثناء تحصيلها للعلم انجس نهر الشعر متدفقا من قلبها، فخرج على لسانها شعراً عذبا رقيقاً بأنغام ساحرة، درست اللغة العربية بدار المعلمين العالية فنالت الليسانس في الآداب عام ١٩٤٥ وصارت مدرسة للآداب العربي في ثانويات بغداد، وفي عام ١٩٥٠ دخلت كلية الآداب في جامعة السوربون في باريس فنالت الدكتوراه في الآداب عام ١٩٥٥ بأطروحة قدمتها عن الشاعر العباسي (العباس بن الأحنف).
وفي غربتها هذه عن بلدها وأمها وحبيبها اتسم شعرها بالواقعية، وعادت مدرسة في قسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية، ثم أستاذة للآداب الحديث في كلية التربية بجامعة بغداد، وبقيت في عملها حتى أحييت على التقاعد في

أستاذتي عاتكة الخزرجي

د. علي القاسمي

باحث ومترجم عراقي



تداري دمعها ومصبيتها، كيما تبتسم
لابنتها الصغيرة وتشجعها على القراءة
والدرس، حتى أضحت الأمومة موضوعاً
من موضوعات شعر عاتكة. ففي قصيدة
"نشيد الأمومة" تعبر عاتكة عن حبها
الطافح لأمها وافتانها بها وامتنانها لها:
أنت معنى الحب، بل معنى الحياة أنت
نور فاض من نور الإله
أنت، يا أماء، من قلبي مناه
أعيش المرء دون الأمل؟

أنت بعد الله رمز يُعبد
تفتديه مهج بل أكبد
أنت يا أماء سر سمد
ظل فيه الفكر منذ الأزل

ويلاحظ أن هذه القصيدة نوع من
الرباعيات الذي تلتزم فيها الأشطر الثلاث
الأولى بقافية واحدة في حين يلتزم الشطر
الرابع بقافية مختلفة هي قافية القصيدة
كلها. وكان هذا النوع من الرباعيات يكثر
في شعر أدباء المهجر اللبنانيين، كما في
قصيدة إيليا أبو ماضي "الطلاس: لسنت أدري"
التي كان لها صدى كبير في العراق آنذاك في مضمونها وشكلها،
وأجاب عليها عدد من الشعراء العراقيين
بقصائد على غرارها عنوانها "أنا أدري"،
كما صاغ الشاعر محمد صالح بحر العلوم
على غرار شكلها قصيدته المشهورة "أين
حقي؟"

لم تقرأ عاتكة في طفولتها أدب المهجريين
فحسب، بل قرأت التراث الأدبي العربي،
قديمه وحديثه، أيضاً؛ لأنها كانت شغوفة
بالقراءة، مولعة بالدراسة. فهي لم تكف
بقراءة ما في مكتبة الأسرة من كتب
فحسب، بل استعارت كذلك مختلف الكتب
والدوريات من زميلاتها في المدرسة
الابتدائية والثانوية لتتذوقها وتلتهمها
وتعيدها إليهن بسرعة. لقد كانت عاتكة
نحلة تقنات على مختلف الأزاهير
فتتمتع رحيقها لتحوّله إلى عسل شعري
رائع المذاق. ويتلمس بعض النقاد، أثرًا
للرصاص في شعرها المبكر الذي يتناول
الفقر والمساكين، والنساء البائسات،
اللوّاتي طحنهن الترمّل ونخلتهن الوحدة،
كما في قصيدة تقول فيها عن أمها:
والقّت عليّ الأم نظرة أيم
قرأت بها يتمي وتاريخ حسرتي
وكم كنت أسي إذ أشاهد طفلة
تصيح: أبي، إذ يبتديها بطلفتي
فأسرع في دلّ ويأس ولهفة
أسائل أمي، إذ أغلب دمعتي
حنانك يا أبي، أما لي من أب
أما لي من كف تكفك عبرتي

فقد كان الرصاصي مولعاً في هذا النوع
من الشعر القصصي الذي يصور آلام
البؤساء والمهمشين في المجتمع كما في
قصيدته "الأملة المرضعة"، وقصيدته
اليتيم في العيد". وإذا كان هنالك من شبه
بين بعض تعبيراتها في هذه القصيدة
وبعض تعبيرات الرصاصي، فهذا أمر
طبيعي نسميه اليوم بالتأصل لكثرة

وأنا أرافقها بعد الدرس من غرفة الصف
إلى موقف السيارات حيث سيّارتها
الصغيرة. ولكن لم أكن قد تعلمت آنذاك ما
يكفي من الشهامة واللباقة واللباقة لأفتح
لها باب السيارة، بل كنت أقف مشدوهاً
أراقبها بحسرة وهي تفتح باب السيارة
وتمتلئها وتغادر. باختصار، كانت عاتكة
في نظري - أجمل امرأة تقود سيّارتها أو
تمشي بين الرصافة والجسر، بل حتى
أحلى وأملح وأفصح وأكثر جاذبية من
جميع طالباتها اللواتي كن يصغرنها
بأكثر من عشر سنوات. كنت أنظر إليها
ماخوذاً منبهراً كما لو كنت أقف مبتهاً
أمام صورة مقدّسة، فائقة الحسن خلابة
الجمال، أبدعها الخالق المصور الأعظم.

مولدها المبارك وموهبتها الشعرية:

ولدت عاتكة في بغداد سنة ١٩٢٤ في
أسرة ميسورة. إذ يروي الناقد العراقي
الموصلي المتميز سيار الجميل، أنه عثر
في دفاتر قديمة تعود لجده الأديب علي
الجميل ما يفيد أن وهيبي الخزرجي، والد
عاتكة، كان صديقه وكان يشغل منصب
مختصر (محافظ) الموصل إبان العهد
العثماني.
ويبدو أن والد عاتكة كان رجلاً متديناً
تقياً، فقد أرخ ولادة عاتكة ودعا لها بهذه
العبارة: "سرها الله تعالى، وجعلها
خادمة له، ولحبيبته صلى الله عليه وعلى
آله وسلّم"، وأن عاتكة تأثرت بما سمعته،
عن سيرته وتدينه، من أمها الصالحة التي
أحسن تربيته. ففي جوابها على قصيدة
الشاعر المصري الكبير، عزيز أباظة، الذي
بعث إليها بتحية شعرية، قرئت حالاً
بقصيدة لها نفس الوزن وذات القافية:
أنا يا مولاي بنت الصيد والغر الأباة
بنت ذاك القانت الحرّ الكريم الخلوات
من يُقيم الليل بالذكر ووجي الصلوات
خاشعاً لله في المحراب، برّ الدعوات

وأبي ما مات بل عاش بسمتي
وسماتي...

فقدت عاتكة والدها بعد ستة أشهر من
مولدها. وقد أورثها اليتيم المبكر أسى
شقيقاً وحسرة دفينه، حولتهما أحاسيسها
المرهفة ومشاعرها الرقيقة إلى شعر
حزين، حتى أصبح الألم والحزن والحب
بمعناه الواسع (حب الأم والأهل، حب
الوطن، الحب الإلهي) من موضوعات
شعرها الرئيسية. وراحت تسفي نفسها
"ابنة الألام والشعر والحب"، كما في
قصيدتها "هوى الوطن" التي تخاطب
فيها حماسة على غضبها أو تخاطب
نفسها، فهي تلك الورقاء الحزينة:

قفي أنشدني من لحونك ما يُصبي
فأنت ابنة الألام والشعر والحب
قفي أسعدي قلباً برته يد الأسى
وملك من يأسو الجراحات في القلب...
أورثها اليتيم المبكر أسى مُقيماً وجرحاً
اليماء، تتذكره كلما رأت أمها التي

كانت الدكتورة عاتكة الخزرجي تعاملنا
- نحن طلابها- بلطف ورقة واحترام، كما
لو كنا أولادها الأعزاء أو إخوتها الصغار،
وتشبعنا واحداً واحداً بأننا أفراد على
درجة كبيرة من الأهمية والكرامة. كانت
تدرّسنا ذلك العام شعر الشاعر العباسي،
العباس بن الأحنف (ت نحو ١٩٤هـ/
٨٠٧م)، بوصفه نموذجاً للأدب العربي
والحضارة الإسلامية وقيمه ومثلها في
أزهى عصورها، عصر هارون الرشيد.
وكانت عاتكة قد اكتشفت، وهي ما تزال
فتاة صغيرة، شاعرية العباس بن الأحنف
الغداة وأغرمت به، وتأملت لما أصابه من
آلام حبه الخائب لمعشوقته "فور". ولهذا
كان هذا الشاعر هو موضوع رسالتها
للدكتوراه في السوربون. طلبت منا ذات
يوم حفظ قصيدة من قصائد العباس بن
الأحنف. وعندما سألت في اليوم التالي
ما إذا كان أحداً قد حفظها، رفع بعضنا
أصابعه، وكنت من بينهم. ويبدو أنني
كنت أرفع إصبعي بشيء من الإلحاح، ولم
أنتبه إلى أن غيري قد سبقني إلى ذلك.
فطلبت من أحد الطلاب تلاوة القصيدة،
وفي الوقت نفسه التفتت إلي وخاطبتني
بلطف وبابتسامة اعتذار قائلته: "أنت
مسك الختام". ولكن عندما جاء دوري،
ارتج علي ولم أستطع تذكر القصيدة.
فقال ملتسمة لي العذر: "كثيراً ما
يحصل هذا عندما نحفظ النص جيداً."

كانت الدكتورة عاتكة الخزرجي تجمع
في شخصيتها الجميلة بين غنج الفتاة
البغدادية المترفة والأناقة الباريسية
الجذابة، والخلق الإسلامي المحافظ.
كانت في ذروة شبابها لم تتعد السنة
الحادية والثلاثين من عمرها المبارك،
تصف شعرها الفاحم السواد على شكل
زهرتي دالية تحتضنان وجهها الصبوح
ذا الملامح الجميلة المتناسقة الساحرة،
الذي تشرق فيه ابتسامتها الصغيرة
الحنية المرسومة بعناية على شفيتها
الحمراوين المكتنزتين. وعندما تكبر
ابتسامتها، تكشف عن أسنان لؤلؤية
ناصعة البياض، وتبدو غمزتان أخاذتان
على الخدين الأسيلين. قوامها لدن
رشيق لا يشكي منه طول ولا قصر، مع
بروز ملحوظ في صدرها الناهد. تمشي
بخطوات رشيقة خفيفة ممسوقة كما
لو كانت تؤدي رقص الفرح على ألحان
شعرها المنغم، ويفوح خلفها عطرها
الباريسي النادر الفريد. في تلك الأيام كان
يكفيني أن أقرب من غرفة أستاذة اللغة
العربية في بناية دار المعلمين العالية،
لأعرف ما إذا كانت الدكتورة عاتكة قد
وصلت أم لا (وفي هذه اللحظات التي
أكتب خلالها هذا المقال بالحاسوب في
المقهى الشتوية في شارع محمد السادس
في مدينة مراكش الرائعة، تناهي إلي،
على بُعد المسافة، أريج عطر الفواح،
يا عاتكة، بعد أكثر من خمسين سنة من
الفراق). كانت تحدثني بصوت خفيض
رخيم ذي رنين عذب يشيع المرح في الجو،

اللقاء الأول:
أكتب هذه المقالة عن
أستاذتي المرحومة الشاعرة
الدكتورة عاتكة وهيبي
الخرزجي، قيّارة العراق،
لعلي أستطيع أن أريد بعض
جميلها عليّ، وأنوه بشيء من
كريم فضلها الذي غمرتني
به، وأعرب عن امتناني لما
تعلّمته على يديها من أدب
ومعرفة وشمائل وخلق
إنسانية سامية.
التحقت بدار المعلمين
العالية في بغداد في أيلول
1957، قادمة من بلدة
صغيرة في الفرات الأوسط.
وكان من حسن حظي أن
أستاذتنا لدرس اللغة
العربية في السنة الأولى
هي الدكتورة عاتكة وهيبي
الخرزجي التي كانت قد عادت
من باريس قبل عام واحد
فقط، بعد أن حازت شهادة
دكتوراه الدولة في الآداب من
السوربون، وعيّنت أستاذة
في دار المعلمين العالية.

العدد (2896)

السنة العاشرة

الخميس (19)

أيلول 2013

قراءات الدكتور عاتكة.

التحاقها بدار المعلمين العالية:

أكملت عاتكة تعليمها العام (الابتدائي والثانوي) في بغداد، وعُرفت خلاله بتفوقها على زميلاتها، وسمو فكرها وعمقه، وجوده إنشائها، وروعة إلقتها، فقد قالت الشعر في سن مبكرة. ثم دخلت دار المعلمين العالية حوالي سنة ١٩٤١ وكانت فتاة خجولة حيية تلبس عبايتها حتى في غرفة الدرس، على الرغم من أن بعض بنات جيلها كن يخلعن العباية عند دخولهن حرم دار المعلمين العالية. ولم تخلع عاتكة عبايتها إلا عند زهابها إلى باريس للدراسة. فقد كانت عاتكة محافظة في سلوكها وتصرفاتها، وظلت كذلك طوال حياتها، ولكنها كانت متحررة ثورية في شعرها الذي تناولت فيه موضوعات وطنية واجتماعية، وتنسم بجرأة وشجاعة أدبيتين عندما تلقي شعرها بصوتها الرخيم وطريقتها المنعمة.

كانت دار المعلمين العالية موئل الشعراء والأدباء من الطلبة الأوائل الأنكباء الذين يؤمنونها من جميع أنحاء العراق، لأنها تتوفر على قسم داخلي يؤمن السكن والطعام للطلبة، ولأنها تضمن لهم وظيفة مدرّس في المدارس الثانوية حال تخرجهم فيها. وتقوم وزارة المعارف بتوزيعهم على جميع مدارس ألوية (محافظات) العراق. وفي السنوات الأربع التي أمضتها عاتكة الخرجي في دار المعلمين العالية، كانت هذه الدار تحتضن رواد الشعر الحر في العراق، مثل زملائها نازك الملائكة (١٩٢٣ - ٢٠٠٧)، وبدر شاكر السياب (١٩٢٦ - ١٩٦٤)، ومثل عبد الوهاب البياتي (١٩٢٦ - ١٩٩٩)، وليعة عباس عمارة (١٩٢٩ -)، وشاذل طاقة (١٩٢٩ - ١٩٧٤)، ومحمد جميل شلش (١٩٣٠ -)، وعبد الرزاق عبد الواحد (١٩٣٠ -)، وغيرهم كثير من خارج دار المعلمين العالية، مثل بلند الحيدري (١٩٢٦ - ١٩٩٦)، وكاظم السماوي (١٩١٩ - ٢٠١٠)، وكاظم جواد (١٩٢٩ - ١٩٨٥). وكلهم ينشرون أشعارهم في دوريات العراق والمجلات الأدبية اللبنانية مثل "الأدب"، وكانت عاتكة في طليعتهم. وكان هؤلاء الشعراء هم الذين ابتكروا الشعر الحر وحملوا مشعلته. ومع ذلك، فإن عاتكة الخرجي ظلت محافظة وفيئة لتقاليد الشعر العربي العمودي، ولكنها حدثته بموضوعاتها الجديدة، وبأسلوبها المتميز، وأحاسيسها المرفهة، وعاطفتها المتأججة، كانت ترى أن شكل الشعر العربي بقافيته وأوزانه قادر على التعبير عن مختلف الموضوعات في متباين الأزمان، ولا ترى في الشعر الحر إلا هروبا من القافية والبحور الخليلية التي يصعب ضبطها على غير الشعراء المطبوعين، وتقول في ذلك: "إن صعوبة الوزن والقافية لا يشكوها شاعر مبدع، وإنما هي عقبة كاداء في وجه المقلدين... وجمال شعرنا العربي أت من هذا الإيقاع الموسيقي المنعم، وإعجان شعرنا العربي أت من رصانة قوافيه واتساق أنغامه..."

وعلى الرغم من أن العراق عرف في تلك الفترة عددا من الشواعر اللامعات، فإن عاتكة الخرجي كانت ببئهن مثل نجمة الضحى، أكثرهن لعانا، وأروعهن إبداعا.

يقول الدكتور صفاء خلوصي في مفتتح مقالة كتبها بالإنكليزية، إبان دراسته الأدب المقارن في جامعة أكسفورد، ونشرتها مجلة الجمعية الآسيوية الملكية سنة ١٩٥٠، وكانت عاتكة ما تزال طالبة في دار المعلمين العالية:

"مهما قيل عن رباب، وأم نزار، ونازك، [وصدوف]، والشواعر الأخريات، فإن إمارة الشعر تعود بلا شك إلى ملكة الشعر الحديث غير المتوجة، عاتكة وهي الخرجي". في حقيقة الأمر، كان مستواها الشعري يضعها آنذاك في مصاف كبار شعراء اللغة العربية. يقول الناقد المصري الدكتور عز الدين إسماعيل، وهو نفسه شاعر مجيد، في دراسة له عن ديوانها الأول "أنفاس السحر" (١٩٣٣)، في مقالة نشرت في مجلة "الرسالة": "نجد فيه [في الديوان] شاعرة قد تكاملت لها كل الأدوات الفنية، وأحرزت كل المهارات الحرفية، حتى ليصعب في كثير من الأحيان أن نفرّق بين شعرها وشعر الفحول من شعراء عصرنا."

قلنا إن عاتكة هي "ابنة الآلام والشعر والحب"، كما وصفت نفسها. وإذا كانت الآلام تأخذ نصيبا كبيرا من شعرها الاجتماعي الذي وصفت فيه معاناة المهّشّين والبائسين والمساكين، فإن الحب يتجلى في حبّ الأمّ والناس والوطن. ويتسع مفهوم الوطن لدى عاتكة، من بغداد إلى العراق إلى الوطن العربي الكبير. فقصائدها في محبة بغداد كثيرة مشهورة، مثل قصيدة "بغداد" التي تقول فيها:

قسما بآله عزّ وجلّ
إن قلبي عن حبها ما تسلى
هي مني روحي وما أنصف التبع
خير، لا بل أعزّ منها وأغلى
هي عندي دنيا من الحسن طابت
وزكت نبتة وفرا وأصلا

وتجلى الحب في شعرها كذلك عندما ألّفت مسرحيتها الشعرية "مجنون ليلى"، وكانت ما تزال طالبة في دار المعلمين العالية. ظن بعضهم أنها تأثرت فيها بمسرحية أمير الشعراء أحمد شوقي "مجنون ليلى" التي اشتهرت بعد أن غنى المطرب الكبير محمد عبد الوهاب عددا من قصائدها مثل "جبل التوباد" و "تلفتت ظبية الوادي"، وغنى المشهد الثالث من الفصل الأول منها الذي سماه "أوبريت مجنون ليلى" وضمّنه في فيلم "يوم سعيد" المنجّ سنة ١٩٣٩. ولكن الناقد المصري بدوي طبانة الذي كان أحد أساتذة عاتكة في دار المعلمين العالية يقول إن مسرحيتها تختلف عن مسرحية شوقي في الفكرة والتصوير، مسرحية شوقي في أنها قد تلتقيان في بعض المواضع. وأحسب أنها استقت مسرحيتها الجميلة من أخبار المجنون في كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني الذي كان في مكتبة والدها وقرأته وهي طالبة صغيرة، وكذلك من ديوان المجنون نفسه الذي حفظت كثيرا منه، حتى إنها ضاهت بعض قصائده، قصيدته الياثية المشهورة، في مسرحيتها عندما تقول:

"المنظر: ليلى، قيس مقل من بعيد وعليه حلتان من حلل الملوك، وهو يتغنّى بشعره مقتربا من خيام ليلى..."

وما كان إلا نظرة وجوابها

فعلقتها إذ علقتها حباليا

وقد زانها دلّ تحليه رقّة

أكملت عاتكة تعليمها العام (الابتدائي والثانوي) في بغداد، وعُرفت خلاله بتفوقها على زميلاتها، وسمو فكرها وعمقه، وجوده إنشائها، وروعة إلقتها، فقد قالت الشعر في سن مبكرة. ثم دخلت دار المعلمين العالية حوالي سنة 1941 وكانت فتاة خجولة حيية تلبس عبايتها حتى في غرفة الدرس، على رغبها من أن بعض بنات جيلها كن يخلعن العباية عند دخولهن حرم دار المعلمين العالية. ولم تخلع عاتكة عبايتها إلا عند زهابها إلى باريس للدراسة.



وليس سوى ذاك الدلال سبانيا وأسكرني منها عبير لأجله

سلوٹ الأفاحي بل سلوٹ الفواغيا...

وقد مثلت هذه المسرحية في بغداد ولقيت نجاحا كبيرا، ما شجّع عاتكة على كتابة مسرحية شعرية أخرى بعنوان "عليّة بنت المهدي". وعليّة هي أخت الخليفة هارون الرشيد وكانت شاعرة أدبية لها معرفة بالموسيقى والغناء، ولها صوت رخيم، وعرفت بتديّنها وتقواها. ولعلّ هذا ما جذب عاتكة إليها بحيث أرادت أن تتماهى معها في مسرحية شعرية. وهناك سبب أهمّ لاهتمام عاتكة بعليّة بنت المهدي. فقد توصّلت عاتكة في بحثها المعمّق في شعر العباس بن الأحنف وحياته إلى أن صاحبة الشاعر العباس بن الأحنف التي يسمّيها "فوز" ما هي إلا عليّة بنت المهدي، وأنه كان يخفي حبّه لها ولا يصرح باسمها لمكانتها الاجتماعية المرموقة، ولثلا يسيء إلى سمعتها وما عُرفت به من تديّن وتقوى. وقد توصّلت عاتكة إلى هذا الاستنتاج عن طريق دراسة مقارنة لأشعار العباس الغزلية، وأحداث حياته وحياة عليّة بنت المهدي.

ولكن عاتكة لم تتّم هذه المسرحية، ونشرت مقاطع منها في ديوانها الأول "أنفاس السحر".

وحبّ عاتكة حبّ صوفي ينمو ويكبر حتى يسع الكون كله، فهو يتدرّج من حبّ الأمّ والأهل، إلى حبّ بغداد، وحبّ العراق، وحبّ العرب، وحبّ الأمة العربية الإسلامية بأسرها، وحبّ الإنسان. وتقول عن حبّها للعراق: وطني العراق أحبة أو تبلى الروح التراقي أهوى النخيل على الضفاف بحضن جبلة والسواقي ويمتدّ حبها من العراق ليشمل العروبة بأسرها وجميع الأمة العربية الإسلامية:

هواي بها، إني نذرْتُ جوانحي
إلى كل شبر في العروبة ممتدّ
إليك إلى الصحراء للرمل للربى
لوح الخليج الثر، للروح من نجد...

إلى كل عرق في العروبة نابض
وكل فؤاد يذكر الله بالحميد
وفي السنوات الأربع (١٩٤١ - ١٩٤٥) التي أمضتها عاتكة في دار المعلمين العالية، كانت القضية الفلسطينية ملتبهية في وجدان العرب، فكتبت عاتكة - في تلك الفترة وبعدها - عددا من القصائد لفلسطين صبّت فيها جام غضبها على بريطانيا التي وعدت الصهيينة بدولة، وساعدتهم على إقامتها على أرض مغتصبة من أهلها الفلسطينيين. ولا بدّ من تأجيج ثورة عاتية تسحق الطغاة المتواطئين مع المستعمر جميعا. تقول في قصيدتها الطويلة "فلسطين هيا ثورة عربية":

إليك عن الشكوى فلسطين إننا
نفوس سحتيا أو تكون حطاما...
لقد جمعتنا يا فلسطين نكبة
كما تجمع الأحران شمل يتامى
فلسطين هيا ثورة عربية
تصير أبراج الطغاة ركاما...
وكانت عاتكة ترى أن ردّ الأمة العربية على التحديّ البريطاني الصهيوني ينبغي أن يتمثل في وحدة عربية تمنحنا القوة والهيبة، فتقول:

فلسطين حتام السكوت عليهم
وقد حسبونا لا نطيق كلاما

ومبدأ الوحدة الكبرى يقرّبنا
قربا تحال به الإيوان أهراما
بيد أن عاتكة كانت تدرك أنذاك أن الوحدة العربية لا تتحقّق في مجتمعات ترزح تحت وطأة الجهل والمرض، وتنشغل قياداتها بسرقة أموال الشعب واختلاس خزينة الدولة. ولهذا كثر شعرها الاجتماعي الذي يندّد بهذه الأخلاق:

وأنى لمثلي أن تسالم دهرها
وليس له إلا السفاهة مقصد؟
وأنى لمثلي أن تسرّ بأئسة
بها الفرد عبد المال، والمال سيد؟
ويختار من هام الفقير دعامة
فيبني عليها قصره ويشيد
أناس تلاهوا بالضلال عن الهدى
فليس بهم إلا كفور ومفسد
ولهذا فهي تستنهض الهمم، وتدعو أمتها إلى ثورة خلقية من أجل الرجوع إلى الدين والخلق القويم:

بلادكم يا قوم أمست عليّة
ترجي دنو البرء، والبرء يبعد
تمنيت لو عاد فينا محمد
إن لأنى بعد الضلالة يرشد...
فعودوا إلى إيمانكم بعد رجعة
فعودكم للحق يا قوم أحمد
وهكذا كانت عاطفتها القومية مقرونة بإيمانها الإسلامي العميق. وهذا واضح من إهدائها ديوانها الأول "أنفاس السحر": "إلى كل ناطق بالضاء، ومؤمن بلغة القرآن، ومبارك لوحدة العرب، أهدي تسبيحة لي في محراب الأدب."

وجعلها إيمانها بالوحدة العربية تكنّ محبة خاصة لمصر بوصفها قلب البلدان العربية وأكبرها وأغناها فكرا وفنا، فتقول من قصيدة طويلة بعنوان "مصر ساحرة التاريخ":

حبيبة الروح، يا روحي ويا ذاتي
الشوق يعصف بي لولا غلالاتي
يا مصر، يا قبلة للفنّ باركها
روح القدير بأي عبر آيات

ابتعاثها إلى فرنسا لنيل الدكتوراه في الآداب:

تخرّجت عاتكة في دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٥، كما ذكرنا، وعيّنت مدرّسة للغة العربية وآدابها في مدرسة ثانوية للبنات في بغداد (كانت المدارس الثانوية في العراق آنذاك منقسمة إلى قسمين: للإناث وللذكور). وبعد أن أمضت خمس سنوات في التعليم حصلت على منحة دراسية من مديرية البعثات في وزارة المعارف، للحصول على دكتوراه الدولة من السوربون في باريس.

في العراق الملكي، كان هنالك تقليد سنّه الملك فيصل الأول، يقضي بإرسال البعثات الطلابية في الآداب إلى فرنسا، إلى السوربون في باريس بالذات، في حين يُبعث طلاب العلوم إلى بريطانيا أولا وأمريكا وألمانيا ثانيا. وأحسب أن الملك فيصل الأول اختار ذلك لاشهرة السوربون في الآداب فحسب، بل كذلك لئلا يربط السياسة العراقية كلها ببريطانيا، على الرغم من أنّه حليفها وهي التي آتت به إلى عرش العراق.

ولهذا نجد أن معظم كبار أساتذة الآداب في العراق آنذاك هم من خريجي السوربون ابتداء بشاعر ثورة العشرين ومؤرخها محمد مهدي البصير (١٨٩٥ - ١٩٧٤) الذي حاز الدكتوراه منها سنة ١٩٣٧/١٩٣٨، وعالمة العراق



أن طالب الدكتوراه لا يتم تسجيله إلا عندما يوافق أحد أساتذة الجامعة المختصين بموضوع الطالب على الإشراف على دراسته وأطروحته. وكان أكبر المستشرقين الفرنسيين آنذاك لويس ماسينيون (1883 - 1962)، وهو متخصص في التصوف الإسلامي. ولكن عاتكة الخزرجي اختارت أن يشرف على دراستها وأطروحتها المستشرق ريجي بلاشير (1900 - 1973) المشهور آنذاك بترجمته الفرنسية الأدبية لمعاني القرآن الكريم، وكتابه عن المتنبي.



طبعة الجوانب ولم يجد الشرح. ومن شعر العباس بن الأحنف الذي يدل على أخلاقه النبيلة والذي أوصتنا أساتذتنا عاتكة بحفظه لسلاسة لغته وسمو معانيه: أبكي الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا واستنهضوني فلما قمت منتصبا بتقل ما حملوا من وُدِّهم قعدوا جاروا علي ولم يوفوا بعهدهم قد كنت أحسبهم يوفون إن وعدوا لأخرجن من الدنيا وحبكم بين الجوانح لم يشعز به أحد ومن شعر العباس بن الأحنف الذي يجري مجرى المثل والذي ضمنتُ بعضه في كتابي "معجم الاستشهادات"، قوله:

أرى الطريق قريباً حين أسلكه إلى الحبيب، بعيداً حين أنصرف وقوله: وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ولا خير فيمن لا يحب ويعشق وقوله:

بكيت إلى سرب القطا حين مر بي فقلت، ومثلي بالبكاء جدير: أسرب القطا، هل من مُعير جناحه لعلني إلى من قد هويت أطيّر ولهذا كله كانت أطروحة عاتكة تتألف من عمليْن هامَيْن: تحقيق ديوان الشاعر تحقيقاً علمياً، ودراسة معقّدة في عصره وحياته وشعره والكشف عن الشخصية الحقيقية لحبيبته فوز.

وعلى الرغم من أن المستشرق بلاشير كان على علم بموهبة عاتكة الشعرية ومطلع على إبداعها قبل قدومها إلى باريس، فإنه كان متردداً في الإشراف على رسالتها. لنترك بلاشير نفسه يتحدث عن أسباب تردده. يقول بلاشير في تصديره لأطروحة عاتكة وهو يخاطبها:

لكل هذه الأسباب، توجهت عاتكة إلى المستشرق ريجي بلاشير راجيةً منه أن يشرف على دراسات وأطروحتها في السوربون عن العباس بن الأحنف. وقد اختارت عاتكة شعر العباس بن الأحنف ليكون موضوعاً لأطروحتها لأسباب ذاتية وموضوعية متعددة أهمها:

أولاً، أنه بغداديّ عراقي، مثل عاتكة؛ ومحِبٌّ لبغداد شغوف بالعراق، مثل عاتكة. ثانياً، كان شبيهاً بعاتكة، أو أن عاتكة تشبهه في العفة والطهارة والتف ونبيل الروح المفعمة بالحب والخير والجمال. فهو عفيف الروح كريم النفس، واقتصر شعره على الغزل والوصف. يقول عنه الجاحظ: "لا يهجو ولا يمدح، ولا يتكسب ولا يتصرّف، وما تعلم شاعراً لزم فناً واحداً فأحسن فيه وأكثر". ويرى البحثري أنه أغزل الشعراء، وكان في غزله سامياً طاهراً حتى تحسبه أحد الشعراء العذريّين. وأشاد به المبرّد في كتاب "الروضة" وفضّله على نظرائه حين قال: "العباس من الظرفاء، ولم يكن من الخلفاء، وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً، كان ظاهر النعمة، ملوكي المذهب، شديد الترف".

ثالثاً، إنه مظلوم تماماً إذا ما قورن بغيره من الشعراء الذين هم أقل منه منزلة وشاعرية، فمعظم شعره قد ضاع، ولم يبق منه إلا المختارات التي انتقاها ورواها أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ/ ٩٦٤م)، وهو من أحفاد أحوال الشاعر، بعد حوالي قرنين من وفاة الشاعر.

رابعاً، لا يوجد له ديوانٌ محقّق تحقيقاً علمياً، فديوانه مطبوع مرتين: مرة في مطبعة الجوانب سنة ١٨٨٠، وهي مليئة بأخطاء التحريف والتصحيح والسهو والجهل التي اقترفتها النسخ؛ ومرة في بغداد سنة ١٩٤٧ بتحقيق عبد المجيد الملا الذي احتفظ بأخطاء

والجامعات العريقة في أوروبا مثل أكسفورد وكمبرج، أن طالب الدكتوراه لا يتم تسجيله إلا عندما يوافق أحد أساتذة الجامعة المختصين بموضوع الطالب على الإشراف على دراسته وأطروحته. وكان أكبر المستشرقين الفرنسيين آنذاك لويس ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٢)، وهو متخصص في التصوف الإسلامي. ولكن عاتكة الخزرجي اختارت أن يشرف على دراستها وأطروحتها المستشرق ريجي بلاشير (١٩٠٠ - ١٩٧٣) المشهور آنذاك بترجمته الفرنسية الأدبية لمعاني القرآن الكريم، وكتابه عن المتنبي. ويعود هذا الاختيار لسببين:

الأول، إن لويس ماسينيون كان أساتذاً في (الكوليج دي فرانس) التي كان التدريس فيها يعتمد على البحث، والتي لا تتبع بنائها سوى خطوات عن بناية السوربون في شارع المدارس Rue des écoles في المقاطعة الخامسة في باريس. مع العلم أن أساتذة السوربون قد يحاضرون في الكوليج دي فرانس التي قد يحاضر أساتذتها في السوربون.

الثاني، إن لويس ماسينيون أكثر تخصصاً في الدراسات الإسلامية منه في الأدب العربي، خاصة التصوف الإسلامي، وهو مشهور بدراساته عن الحلاج وتحقيقه لديوانه "الطواسين"، في حين أن ريجي بلاشير معروف بميوله الأدبية على الرغم من ترجمته لمعاني القرآن الكريم بالفرنسية، وكتابه عن النبي محمد (ص) في دراسات المستشرقين.

أضف إلى ذلك أن عاتكة كانت تريد أن تكتب أطروحة الدكتوراه عن الشاعر العباسي، العباس بن الأحنف، والذي كتب مقالة "العباس بن الأحنف" في "دائرة المعارف الإسلامية" هو ريجي بلاشير، وليس ماسينيون.

الدكتور مصطفى جواد (١٩٠٤-١٩٦٩) الذي نال شهادته منها سنة ١٩٣٩. أما زملاء الدكتور عاتكة الخزرجي، من العراقيين في السوربون فمنهم الكاتب المتخصص في الأدب الأندلسي الدكتور صلاح خالص (١٩٢٥-١٩٨٧، دكتوراه سنة ١٩٥٢)، والناقد الدكتور علي جواد الطاهر (١٩١١-١٩٩٦، دكتوراه سنة ١٩٥٤)، واللغوي الكبير الدكتور إبراهيم السامرائي (١٩٢٣-٢٠٠١، دكتوراه سنة ١٩٥٦). أما أساتذتي الدكتور عاتكة الخزرجي، فقد نالت الدكتوراه سنة ١٩٥٥.

عندما حصلت عاتكة على البعثة (المنحة) إلى جامعة السوربون، أخذت تنهياً للرحيل وتنهيب منه، لأنها ستفارق أحبائها: أمها، بغداد، العراق. وهكذا كتبت قصيدة "قبل الرحيل" تخاطب فيها بغداد:

هات العهود على الوفاء وهات وإليك ذي يُمنائي في يُمنائك قسماً بحبك والذي برأ الهوى وأذاب روحي في سفير لظاك لأظل أرى العهد شأنٌ مُتيم ألى على الأيام أن يهواك وعندما وصلت إلى باريس، شعرت بوطاة الفراق على الرغم من جمال المدينة وأوارها وكونها بنت الحضارة وعاصمة الفن في الدنيا بلا منازع؛ وأخذت تحن إلى بغداد والتاعت روحها بالشوق المضطرم. وظهرت في شعرها موضوعة الحنين:

أواه لو تدرين كم ضاقت بها سبيل الحياه وبدت لها بنت الحضارة وهي قفر في فلاه وتشوّقت تبغي الفرات فلم تجد إلا صداده تقضي التقاليد الجامعية في السوربون



مختارات من عاتكة الخزرجي



قصيدة بغداد

قسما بالآله عز وجل
إن قلبي عن حبها ما تسلى
هي مني روعي وما أنصف التع
بير لا بل أعز منها وأغلى
هي عندي دنيا من الحسن طابت
وزكت نبتة وفرعا وأصلا
حاش لله ليس حبك يلقي
غير قلبي له مكانا وأهلا
قسما بالذي براك من السح
ر ومن صور الجمال فأعلى
والذي نور الجبين فكانت
طلعة كالصباح يمنا ونبلا
أنا أهواك فوق ما عرف الحب
ب كأنا في الحب قيس وليلي
ليتني مت في هواك فما أك
رم في حبك الممات وأحلى!
إيه بغداد يا عروس الليالي
فقت في العز بدرها إذ تجلى
وبدنيا الأمجاد كان لك السب
ق تباعا والقذح فيها المعلّى

ومن قصائدها :

قصيدة وراء السراب

تقول فيها :

وكنّت.. وكنّت.. وكان الهوى
على غفوة من رصيد القدر

وكنّت أنا عنك في غفلة

إخالك من بعض هذا البشر

ولم أك بعد سوى غرة

وإن كنت جاوزت حد الصغر

وأحسست في خافقي هزة

تلاشى كياني بها وانحسر

وألفيتني غير تلك التي...

وأنكرت أمسي كأن قد غبر

وتهت أنا في ضباب السنين

وغامت رؤى وتجلت صور

وأنكرتني وأنا لم أزل

على الدرب أبحث لي عن أثر

ودربي عليّ سبيل سويّ

سويّ به الصعب والمنحدر..

وقلت لعينيّ ثم انثنيّت

تكاتمني بعض ما قد ظهر

وقلت لعينيك ثم انطويت

على السر أدفنه في حذر

ومست يداك يدي للوداع

ومرت ليال وجاءت آخر

وعز علينا اللقا فانثنيّت

ولا أمل ثم أو مصطبر

وخبّ بنا الركب ركّب الزمان

يباعد ثم يُعفي الأثر

وما زال يسعى بها سعيه

أما أن أن يرعوي أو يقرّ..؟

وكنّت.. وكنّت.. وكان اللقاء

على غفلة من رقيب القدر

وقلت لقلبي فكان الجواب

تتمّمه خلجات النظر

ومست يداك يدي للبقاء

على العهد ما امتد فينا العمر

وأقسم قلبي يمين الولاء

وآلى على نفسه أن يبر

وكنّت وكنّت.. وكان الفداء

لقلبك قلبي وضاع العمر

وعشت على الوهم... دنيا هراء

وخلّب برق وطيفا يمر

أقول عسى ولعل الرجاء

يطالعني عبر هذي الصور

وما زلت الهث أقفو السراب

ولما يلح نبغي المنتظر...

قصيدة بلادي

تمهل - أبئت اللعن - جرّت عن القصْد
فليس لمثلي أن تقابل بالصد
بلادك - إن ترشد - بلادي وإنها
عشيرتي وأحبّابي وأنفس ما عندي
هواي بها ، ما حدث عن عهد حبها
وحاشا لمثلي أن تحيد عن العهد
وكيف وقد ملكتها كل مهجتي؟
وإني لأخفي في الهوى فوق ما أبدي
هواي بها ، إني نذرت جواني
إلى كل شبر في العروبة ممتد
إليكم ، إلى الصحراء ، للرمل ، للرّبي

هَمْسًا حَنُونًا فِي شِفَاهِ الْجَمَالِ
لَا زِلْتُ سِرًّا فِي ضَمِيرِ الْمُنَى
وَحَيًّا أَمِينًا فِي بَنَاتِ الْخِيَالِ
لَا زِلْتُ مِثْلَ النُّورِ .. مِثْلَ النَّدَى
مِثْلَ الشَّذَى ، مِثْلَ رَفِيقِ الظَّلَالِ
مِثْلَ الْحَفِيفِ الْحَلْوِ ، مِثْلَ الصَّبَا
مِثْلَ الرَّبَى ، مِثْلَ سُمُوقِ الْجِبَالِ
مِثْلَ ابْتِسَامِ الْوَرْدِ ، مِثْلَ الرُّؤَى
مِثْلَ الْمُنَى ، مِثْلَ غُرُورِ الدَّلَالِ
لَا زِلْتُ يَا مَوْلَايَ لِي ذَاكِرًا
رَغَمَ النَّوَى ، رَغَمَ اللَّيَالِي الطَّوَالِ
وَلَمْ أَزَلْ مَوْلَايَ تِلْكَ الَّتِي
عَرَفْتُ ، لَنْ أَنْسَى عَلَى أَيِّ حَالٍ

× × ×

لَوْ مِثْلَ الْحُسْنِ عَلَى صُورَةٍ
لَكُنْتُهَا ، يَا عَزَّهْ مِنْ مِثَالٍ
أَنْتَ عَلَى قُدْرَتِهِ آيَةٌ
بُورِكْتَ بَارِي الْخَلْقِ يَا ذَا الْجَلَالِ
بِاسْمِكَ كَمْ سَبَّحْتُ يَا خَالِقِي
مَا خَفَقَ الْقَلْبُ لِهَذَا الْجَمَالِ

*من ديوانها : " أفواف الزهر "

يامصر

حَبِيبَةُ الرُّوحِ يَا رُوحِي وَيَا ذَاتِي
الشُّوقُ يَعْصِفُ بِي لَوْلَا عَلَالَاتِي
هَذِي سُنُونُ تَوَالَتْ إِثْرُ فُرْقَتِنَا
وَلَسْتُ أَمْلِكُ إِلَّا حَرَّ أَهَاتِي
يَا مَصْرُ يَا قِبْلَةَ الْفَنِّ بَارِكْهَا
رُوحُ الْقَدِيرِ بَأْيِ عِبَرِ آيَاتِ
لَأَنْتَ سَاحِرَةُ التَّارِيخِ مَذُوجِدَتْ
أَسْرَارُ حُسْنِكَ سَارَتْ فِي الشَّلَالَاتِ
سُبْحَانَ رَبِّي كَمْ أَوْلَاكِ مِنْ نِعَمٍ

لَمَوْجِ الْخَلِيجِ الثَّرِّ ، لِلرُّوحِ مِنْ نَجْدِ
لَمَكَّةَ ، لِلْبَطْحَاءِ ، لِلخَيْفِ مِنْ مَنَى
لَسَيْنَاءَ ، لِلجَوْلَانِ ، لِلْقُدْسِ ، لِلخُلْدِ
إِلَى كُلِّ عَرَقٍ فِي الْعُرُوبَةِ نَابِضٍ
وَكُلِّ فُوَادٍ يَذْكُرُ اللَّهَ بِالْحَمْدِ
إِلَى تُونِسَ ، أَوْ لِلجَزَائِرِ ، لِلهُوَى
بِمَغْرِبِنَا الْأَقْصَى الْقَرِيبِ عَلَى الْبُعْدِ
يَمِينًا لَقَدْ أَحْبَبْتُكُمْ حُبَّ زَاهِدٍ
وَأَعْنَفُ أَهْوَاءِ الْمُحِبِّينَ فِي الزَّهْدِ
وَمَنْ أَجْلُكُمْ أَرْجُو الشَّهَادَةَ فِي الْهُوَى
فَلِلَّهِ مَا يَلْقَى الْأَخْلَاءُ فِي الْوُدِّ !
لَنْ كَانَ فِي بَعْدَادٍ مَهْدِي فَإِنِّي
أَرَى أَهْلَكُمْ أَهْلِي وَمَهْدَكُمْ مَهْدِي
« وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ
غَوِيَتْ وَإِنْ تَرَشَّدَتْ فَفِي رُشْدِهَا رُشْدِي »
يَمِينًا لَقَدْ أَحْبَبْتُكُمْ حُبَّ وَالِهِ
يُفَدِّيكُمْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ
وَهَلْ بَعْدَ بَذْلِ النَّفْسِ فِي الْحُبِّ غَايَةٌ
وَهَلْ عِنْدَكُمْ فِي الْحُبِّ بَعْضُ الَّذِي عِنْدِي؟
يَمِينًا لَقَدْ أَحْبَبْتُكُمْ حُبَّ رَاهِبٍ
يَرَى غَيْرَ حُبِّ اللَّهِ فِي اللَّهِ لَا يُجْدِي
وَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْحُبِّ فِي الْحُبِّ غَايَةٌ
وَهَلْ عِنْدَكُمْ بِاللَّهِ بَعْضُ الَّذِي عِنْدِي؟

ومن أجمل قصائدها : قصيدة تحية
تقول فيها :

عِيدُكَ يَا مَوْلَايَ عِيدُ الْجَمَالِ
عِيدُ الْفَتَى الْفَرْدِ الْعَزِيزِ الْمُنَالِ
لَا زِلْتُ فِي يَمْنٍ وَفِي رَفْعَةٍ
تَعْنُو لَكَ الدُّنْيَا وَفِي خَيْرِ حَالٍ
لَا زِلْتُ يَا مَوْلَايَ نَفَحَ الْهُوَى

أَنْوَارُهَا تَتَلَا كَالْمَجَرَّاتِ
إِنْ قِيلَ عِلْمٌ وَأَنْتَ الْعِلْمُ بَارِعَةٌ
أَوْ قِيلَ فَنٌّ فَأَنْتِ الْأَمْسُ وَالْآتِي
كَمْ قَدْ رَوَيْتِ عَنِ الْأَهْرَامِ مُعْجَزَةً
وَكَمْ سَمَوْتَ بِأُمُومٍ وَ (نَفَرَاتِ)
فَكُلُّ شَيْءٍ بِأَرْضِ مَنْكَ مَأْتِرَةٌ
وَفِي مِيَاهِكَ أَنْفَاسُ النُّبُوتِ
فَمَنْ يَزُرُكَ يَظَلُّ الدَّهْرُ مُنْبَهَرًا
بِغَايِرِ مُعْجَزٍ أَوْ حَاضِرِ آتٍ
يَا مَصْرُ يَا قِبْلَةَ الْقُصَادِ يَا عِلْمًا
إِنْ رَفَّ كَانَ الْمَعْلَى بَيْنَ رَايَاتِ
لِلَّهِ أَنْتَ حَضَارَاتُ مُخَلَّدَةٍ
يَا مَنْ أَدَلَّتْ عَلَى كُلِّ الْمَدَلَّاتِ
بِالدَّلِّ وَالشَّكْلِ وَالْحُسْنِ الَّذِي أَنْفَرَدَتْ
بِسُحْرِهِ بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالذَّاتِ
كَفَلَقَةِ الْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ إِنْ خَطَرَتْ
رَفَّ السَّنَا بَيْنَ أَهْدَابِ الثَّنِيَّاتِ
كَأَنَّمَا النُّورُ بَعْضُ مَنْ مَفَاتِنَهَا
وَالْكُلُّ مِنْهَا خَبِيءٌ فِي الْجَزِيئَاتِ
يَا مَصْرُ أَعْيَيْتَنِي وَصَفًا ، فَذَا قَلَمِي
مُكْسَرٌ كَمْ يُورِي بِالْكُنَايَاتِ
فَهَلْ تَطُولُ إِشَارَاتِي وَقَدْ قَصُرَتْ
عَنْ مُعْجَزِ الْفَنِّ فِي الْمَاضِي وَفِي الْآتِي
ذِي آيَةِ اللَّهِ تَعْيِي الْوُصْفِ ، لَا عَجَبُ
إِنْ أَعْجَزَتْ أَحْرُفِي فِي غُرِّ أَبْيَاتِي
تَقْبَلِي مَصْرُ قَلْبِي عِبْرَ قَافِيَتِي
فَإِنَّهُ الْحُبُّ رَقْرَاقًا بِمِرَاتِي
وَإِنَّهُ الصِّدْقُ فِي رُوحِي وَفِي كَلَمِي
بَلْ فِي ضَمِيمِ الْحَنَايَا مِنْ شُعِيرَاتِي
وَلَسْتُ أَنْظِمُهُ زَيْفًا وَلَا كَلِمًا
فَهُوَ الصِّفِيُّ الْمَصْفَى ، إِنَّهُ ذَاتِي

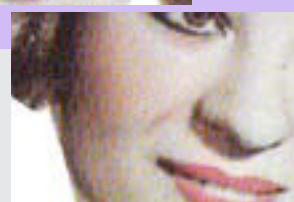
عن ديوان اريج الازهار

هي الشاعرة عاتكة وهيبي الخزرجي، ولدت الشاعرة عاتكة في عام 1924 ببغداد وبعد ستة أشهر من ولادتها توفي والدها (وكان متصرفاً للواء الموصل لفترة) فكفلتها أمها وربتها التربية الحسنة فادخلتها المدارس الابتدائية والمتوسطة والاعدادية في بغداد وهنا و خلال دراستها الثانوية انجست منابع عيون الشعر في قريحتها فكانت لها قصائد جميلة في هذه الفترة وبعد تخرجها من الثانوية درست اللغة العربية بدار المعلمين العالية ببغداد فنالت الليسانس في الآداب عام 1945 فعيّنت بعد تخرجها مدرسة للأدب العربي في ثانويات بغداد، ثم نقلت إلى الإرشاد في الوسائل التعليمية والإيضاح .

فاتح الحجة

باحث وأديب

عاتكة الخزرجي صورة قلمية



للوطن الذي سكن روحها وخيالها وفي شعرها أيضاً قوة معنى وتربط وتنسيق جميل نلاحظ في أبياتها الشعرية ويسري في جسم قصيدتها . تقول في قصيدة لامها وحبها لها :

أما هوأك فلست من أنساه
يوماً إذا نسي المحب هواه
أبد أراه تعير بين جوانحي
حباً لأن جوانحي مأواه
يدري الوري خبري ولا من لائم
فهواك ما يدعو إليه الله
ولها في نشيد للامومة تقول فيه :
أنت معنى الحب بل معنى الحياة
أنت نور فاض من نور الآله
أنت يا أماء من قلبي مناه
أعيش المرء من الأمل

فقط، وكان في شعرها نلمس نزعة تقليدية لتأثرها بشعر بالعباس بن الاحنف و نفس المتنبي، وطابع قصصي رائع و ابرز ما يتسم به شعرها وفيه نغمة ذاتية وموسيقى رائعة. وشعرها يزخر بالادب العالي شعراً رقيقاً يجسد حبها

شعرها بين سطور و أبياته روح بغداد وعشقها وصوفيته وشوقها للماضي وصبايتها للحاضر فقد نهلت من ثقافات مختلفة في دار المعلمين العالية ومن خلال سفرها خارج العراق ومع ذلك فقد حصرت ادبها وشعرها في الادب العربي

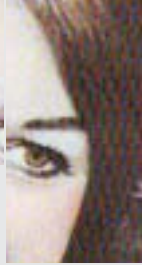
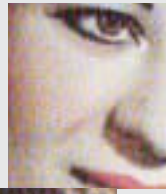
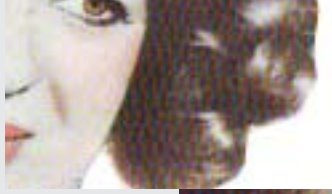
عينت مدرسة في قسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية (كلية التربية فيما بعد) ، ثم أستاذة للأدب العربي الحديث في كلية التربية بجامعة بغداد ، وبقيت في عملها حتى أحيلت على التقاعد في أواخر الثمانينيات انضمت الشاعرة عاتكة الى نادي القلم سنة 1957.توفيت ببغداد عام 1997 عن عمر يناهز الرابعة والسبعين.

عاتكة الى نادي القلم سنة ١٩٥٧ . توفيت ببغداد عام ١٩٩٧ عن عمر يناهز الرابعة والسبعين . عاتكة الخزرجي شاعرة رائعة تعد من ابرز شاعرات العراق في العصر الحديث . ضم



وفي عام ١٩٥٠ سافرت الى خارج العراق الى فرنسا ، ودخلت كلية الآداب في جامعة السوربون في باريس فنالت الدكتوراه بتفوق في الآداب عام ١٩٥٥ بأطروحة عن الشاعر العباسي العباس بن الأحنف . وفي غربتها هذه عن بلدها وأما وحببتها بغداد قدمت كثيراً من قصائدها وقد اتسع مجال شعرها متنسماً بالواقعية .

عينت مدرسة في قسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية (كلية التربية فيما بعد) ، ثم أستاذة للأدب العربي الحديث في كلية التربية بجامعة بغداد، وبقيت في عملها حتى أحيلت على التقاعد في أواخر الثمانينيات انضمت الشاعرة



الوطن وهو الحب الأكبر و تتوسع
دوائر هذا العطاء الوجداني لتشمل
كل نبض القلب عند شاعرنا الأدبية
ونابع من القلب و الوجدان .
وما احلاها وهي تنشد قصيدتها
(امانة) :

يهون عليك اليوم مثلي ولم
أكن لأحسب يوما أنني ساهون
يلذ لكم ذلي فانكر عزتي
لديكم ويقسو قلبكم و ألين
فحاتم أرجو والرجاء يخونني
وقلبي على العلات ليس يخون؟
فديتك ، هل ترجى لمثلي شفاعة
لديك وهل لي في هواك معين
وكيف اصطباري عنك والشوق
عقني وأمرك أعياني فلست أبين
وهذي النوى ترمي المرامي بيننا
وتلك سهول دوننا وحزون؟
تمنيت لو أنني وأياك نلتقي
لو ان المنى مقضية فتكون
وان يلتقي طرفي وطرفك لحظة
فترتاح نفس أو تقر عيون
والا فطيف من خيالك طارقي
اذا جن ليل واستثير حزين
فديتك ، ذا قلبي لديك أمانة
وأنت عليها ، ما حييت ، أمين
من اثارها :

-ديوان العباس بن الاحنف القاهرة
١٩٥٤م.
-انفاس السحر شعرالقاهرة
١٩٦٣م.
-الألاء القمر/الشعرالقاهرة
١٩٧٥م.
-اطياف السحر .
-مسرحية (مجنون ليلي) شعرا
١٩٨٦

-حياة العباس بن الاحنف وشعره
وقد كتبه بالفرنسية الا انه ترجم
الى العربية ونشر ببغداد عام
١٩٧٧

- الانسة (بحوث تحليلية)
-مجموعة قصص ومقالات
واخيرا اختتم بحثي هذا بهذه
الابيات وهي تنسدها لوطنها
وامتها العربية:

تمهل . أبيت اللعن . جرت على
القصص
فليس لمثلي أن تقابل بالصد
بلادك . ان ترشد . بلادي وانها
عشيري وأحبابي وأنفس ما عندي
هوأي بها ، ما حدث عن حبها
وحاشا لمثلي أن تحيد عن العهد
وكيف وقد ملكتها كل مهجتي واني
لأخفي في الهوى فوق ما ابدي
هوأي بها ، اني نذرت جوانحي
الى كل شبر في العروبة ممتد
اليكم ، الى الصحراء ، للرمل ،
للربى
لموج الخليج الثر ، للروح من نجد

لمكة ، للبطحاء ، للخيف من منى
لسيناء ، للجولان ، للقدس ، للخلد
الى كل عرق في العروبة نابض
وكل فؤاد يذكر الله بالحمد
الى تونس ، او الجزائر ، للهوى
بمغربنا الاقصى القريب على البعد
يمينا لقد أحببتكم حب زاهد
وأعنف أهواء المحبين في الزهد

ومن شعرها في مأساة فلسطين
تقول :

اليك عن الشكوى فلسطين اننا
نفوس ستحيا او تكون حطاما
نفوس ابت ان تستكين لفاتح
يرى الظلم دينا والسفاه اماما
ولها ايضا قصيدة (الالم الصامت)
فتقول ..

بلوت من الايام كل عظيمة
وحسبي بأنني قد ولدت بماتم
وكانت اغاني المهد لي رنة الاسى
ووقع نحيب قد يرى قلبي ايم
وابصرت عن قربي خيالا مهديا
يغالب دمعاً بين جفن مورم
وكانت عاتكة بحق استاذة ماهرة
يعشق سماع محاضرتها كل من
سمعها .. كانت تهتم بموسيقى
الشعر ورقته وترعى كل من تتلمس
لديه موهبة في الشعر ، وتشدد عليه
حتى يصفو شرابه ويشد عوده .
وكان لها دورها الثقافي المتميز
من خلال حواراتها وما تنشره من
قصائد و كانت عاتكة عاشقة لبغداد
وهي تسكن في بيت انيق تعتني به
عناية فائقة وهي تعيش مع نباتاتها
وازهارها المختارة واوراقها وكتبها
وصورها التي كانت تعشقها كثيرا
.. لم تستطع عاتكة فراق بغداد ،
ولكنها بارحتها وهي كلمى حزينة
ولم ترجع اليها فترة طويلة لأنها
قد تعذبت وألم بها القهر والاسى
والحرمان وقد اجادت عاتكة حين
انشدت لبغداد :

بغداد ان اذف الوداع وصاح بي
داعي الرحيل مناديا بنواك
وشددت من فوق الحشا
واستعبدت عينان لم تدر البكا
لولاك
لهواك زادي بل لقاك تولهي
والعيش ان احيا على ذكراك
لولاك يا بغداد ما اخترت النوى
وتركت امي والحمى لولاك
و الدكتور عاتكة الخزرجي كانت
تلقي شعرها بنفسها في المحافل
شعر ا عذبا رقيقا بإنغام ساحرة
تأخذ بالوجدان وكأنه سلاسل من
الذهب تجود بها لمن حين و اخر .
والشعور الصوفي او ذو النزعة
الصوفية بات هو المنحى أو السمة
التي تميز الراقي في مخاطبتها
للرمز
سواء كان الغائب الحاضر من



الغزل الصوفي في شعر عاتكة الخزرجي

يعالج هذا البحث النزعة الصوفية في شعر عاتكة الخزرجي وهي محاولة تقليد للنزعة الصوفية عند رابعة العدوية. لاشك في أن الشاعرة تعيش في مجتمع محافظ ورغم تحررها في السفر والفكر فهي تحاول أن ترضي هذا المجتمع. ويمكن أن نقول أن هذا الشعر الصوفي هو نوع من الغزل المتخفي. وقد برز هذا السلوك في عصرنا الحديث في شعر المرأة لاجتماع المتعارضات السلوكية في العصر الحديث. هي حفيذة صوفي خزرجي، دغدغ سمعها، وهي بعد طفلة صوت والدها منشداً شعر أبيه وسواه من شعراء التصوف، إذ جمعت في شعرها بين رقة البحري وغزل العباس بن الأحنف، وتعفف الشريف الرضي واستعطافه، وصوفية ابن الفارض وهيامه فهي ابنة الرصافة وربيبة دار المعلمين. إذ ولدت هذه الشاعرة في بغداد عام 1926، حيث أكملت دراستها الابتدائية في المدرسة الحيدرية للبنات بتفوق ثم المتوسطة والثانوية وحصلت على الليسانس في الأدب العربي من دار المعلمين العالية سنة 1945.

فرح غانم صالح البيرماني

باحث أردني

نراها تُسجّل اعتراضاتها في أكثر من قصيدة عن مدى عشقها (لإله) وتؤكد عليه وإذا كان هناك من يسألها ماذا تعشقين... أجابت... أهوى الذي خلق الوجود من العدم أهوى الذي سواك من لحم ودم أهوى الذي شق الضياء عن الظلم أهوى الذي على وعلم بالقلم قالوا تعالى من له الملكوت من برا النسم يلس كيف أن الشاعرة (تعشق الإله) وتدين أن عشقها خالص لربها ولكنها في الوقت نفسه تعطي دليلاً على أن عشقها موجه إلى (حبيب خيالي) إذ تشخص بقولها:

أهوى الذي سواك من لحم ودم فكيف تقدم دلائل لربوبية الإله وتحدث عن حبها له ثم تعشق ما خلقه الله. ونسمعها تقول... قالوا: وماذا تعشقين؟ فقلت سر الحسن كله...! قالوا: ومن ذا؟ قلت ربي باري الكون جملة...! ولمس عشق الشاعرة إلى كل شيء جميل خلقه الله وبعد ذلك تؤكد محبتها (لإلهه). وتستمر في قولها...

أحبك... لو صبح أن الهوى تترجمه أحرف أو معان أحبك للحب لو أعربت عن الحب قافية أو بيان وهنا تصرّح الشاعرة بشكل مؤثر عن مدى عشقها لربها إذ تصف ذلك الحب الذي يعجز عن وصفه أي شخص.

حيث تقول... هو اك هو اي الذي يعرفون وسرك سري... فما ينكرون...! أحبك فوق الهوى والظنون وفوق الذي يحسب عاشقون هو اك هو اي أيا عالماً تقاصر عن وصفه الواصفون ونرى اهتمام الشاعرة بالصورة ولكنها في الوقت نفسه تطمح إلى الروح إلى الينبوع الذي يحل هناك في أعماق روحها.

إذ تقول... وفيك عشقت الجمال الرفيع وأبركت سر ضياء العيون جمالك يا مالكي أية يضل بأسرارها المهتدون وإذا ما أمعنا النظر في شعر عاتكة نلمس الله في كل آية من آياته وفي كل صفة وهي تكاد تدين هنا بحلول الجمال الإلهي، حيث تقول... أهواك... أهوى الحسن... أهوى الله في خلق جديد

لمقطعات شعرها بعث في نفسه ذكريات (مي زيادة) التي اشتهرت بإلقائها العذب للشعر والنثر. أما الدكتور داود سلوم الذي أطلق عليها القديسة وناداهها به فيقول: (إن القديسة في صلواتها الشعرية لا تتكلف في اختيارها فهي تشعر بالقرب ممن تخاطب، وتشعر أنه قريب منها، ففي شعرها تنتفي لقاعدة لكل مقام مقال - وتستحيل ألفاظها إلى ألفاظ هامة بسيطة. ألفاظها تشبه حواراً بين اثنين في روضة بعيدين عن الناس والزحام وقد غابا عن الوجود حول منضدتهما أحدهما ينظر في أعماق عيني الآخر فيقول ما يشعر بما يقوله، إنه شعر يشبه النثر، ونثر يشبه الشعر، إنه صلاة قديسة... ودعوة محتاج!).

غرض التصوف في شعر عاتكة (الغزل الصوفي) إن من يطلع على شعر عاتكة يلمس في تركيبها على موضوعات (الحب والتصوف) وهذا ما لاحظته الأديب أحمد حسن الزيات فهي ربيبة الرصافة ونزيلة الكرخ حيث يتعطر بأنفاس الملائكة وتحوم حول أرواح المتصوفين (كالجنيد البغدادي والحلاج ومعروف الكرخي). حيث أن الينابيع الصافية التي ارتوى من فيضها شعر الدكتورة عاتكة والينابيع هي (الله والطبيعة والنفس). والينبوع القدسي هو أمدى على كبدها وأروى لشعورها من الينبوع النفسي والينبوع الطبيعي لأنها حين تصف النفس أو تصور الطبيعة يتمثل فيها بديع السموات والأرض الذي أحسن كل شيء خلقه ومنح كل جميل جماله(١):

فنسمعها تقول... بالذي رقرق الصباية في القلب وشى بالحب أثناء نفسي والذي برأ الحنايا وأصفاها صفاء الأنداء في ضوء شمس أنت عندي معني أجد الله جيلي في الصبح أو حين أمسى (شهد الله لم يغب عن جفوني شخصه لحظة ولم يخل حسني) فهذا الحب الصوفي الإلهي خلاصة تأمل في الذات الإلهية ونوع من الذوبان في ذات الله، وأن هذا الشعر وليد التأمل والنضج الفكري والتقدم في الثقافة والتأثر بالنصوص الدينية وجذور النشأة الأولى. وهنا تستخدم الشاعرة كل ما استخدمت غيرهما من دلائل الربوبية ولكن كونها امرأة تجعل من شعرها عشقاً يقوم بين إله روحاني وامرأة بشرية ذات لحم ودم.

وهذا هو الطريف في موضوع الغزل الصوفي. لأن هذا العشق الحاد بين الروح والمادة لم يتركز بهذا الجمال والصفاء واللطف والظرف منذ أن غنت رابعة العدوية النغم لنفس الإله. ومن خلال شعرها

وقد مارست التدريس في ثانوية الأعظمية للبنات، ورحلت إلى باريس ودخلت كلية الآداب في السوربون سنة ١٩٥٠ فحصلت على دكتوراه دولة في سنة ١٩٥٥ بعد أن حققت ديوان العباس بن الأحنف وقد طبعته بالقاهرة، وبعدها عينت بمنصب مدرسة في قسم اللغة العربية في دار المعلمين العالية. لكن طموحها لم يقف عند هذا الحد. فقد عكفت على نظم الشعر منذ أن كانت في العاشرة من عمرها. ونشرت منه وهي في الرابعة عشرة في الصحف العراقية، وكتبت مسرحية بعنوان (مجنون ليلى) وهي في السادسة عشرة في مرحلة الدراسة الإعدادية، وطبعها سنة ١٩٦٣ في القاهرة، وتنهج فيها منهج أحمد شوقي، وقد انتمت إلى نادي القلم سنة ١٩٥٧، ومن دواوينها المطبوعة (أنفاس السحر) حيث طبع في القاهرة سنة ١٩٦٣ و (اللاء القمر) الذي طبع في القاهرة ١٩٩٤ ولها ديوان مخطوط بعنوان (أفواف الزهر) وعدد من المقالات المنشورة.

ولابد من الإشارة إلى أن ديوانها الأول لا يكشف لنا لإفترات التكوين الأولى، منها ما رافق فترة (الطلب والتلمذة) ومنها ما رافق فترة التغرب في أوروبا حيث تلمح فيه بداية التحرر الروحي ويقول عن هذا الأمر الدكتور داود سلوم: (إني أرى أن مادة هذا الشعر الوجداني - الذي نسبته الشاعرة إلى مسرحية عليّة بنت المهدي كان تهرباً من الاعتراف بعواطفها في الفترة الأولى).

أما في ديوانها (اللاء القمر) فتظهر فيه القديسة وبين يديها حب جديد تعترف به وتنسبه إلى نفسها لا إلى عليّة بنت المهدي وهذا الحب الصوفي خلاصة تأمل في الذات الإلهية. وأود أن أشير إلى أن الشاعرة عاتكة الخزرجي على الرغم من أنها عاشت في أول شبابهها في مجتمع متحضر نوعاً ما، ثم سفرها إلى فرنسا للدراسة، ورجوعها بعد ذلك وهي تحمل دكتوراه الدولة في الأدب العربي، وسلوكها بعد مجيئها من دراستها خارج العراق سلوكاً تحررياً وشعورها بالكثير من السعادة في حياتها الأولى قبل زواجها الأول، الذي لم يكتب له الاستمرار، ثم في زواجها الثاني الذي هو الآخر لم يعمر طويلاً نرى أن الشاعرة قد تغيرت في أفكارها وأشعارها. وظهر في المرحلة الثالثة من حياتها نوع من التشاؤم في الحياة أدى بها إلى الاتجاه نحو شعر التصوف والعرفان مما سنقرأ قسماً منه في هذا البحث. وقد قال عنها الأديب المصري أحمد حسن الزيات: (النأق الذي لا يؤمن بصوفيتها أنها تدخل في الغزل باباً من أبواب الشعر لا مجرى من مجاري الشعور فهي تعبر بالفن لا بالوحي وتؤثر بالصنعة لا بالطبيعة). ويشير الأديب المصري أحمد حسن الزيات بأن لقاءه بالشاعرة عاتكة الخزرجي وإصغاءه إلى إنشادها



وقولها...

يا خالق الحسن... أدرك في جماك لقي

من فتنة العين أو من فتنة الأنف

نلحظ إصرار الشاعرة على تأكيد حبها إذ تبين انبهارها وإعجابها بما خلق الله وأبدع في خلقه وهي متعشقة للجمال الإلهي.

وعلى طريقة ابن الفارض وسواه من القدامى تنوَّكاً على القسم في خطاب الحبيب وتوحد بين حبه وحب الله. وعلى مثال شعراء الصوفية، تؤكد أنَّ حبها للحب، لا خوفاً من عذاب أو طمعاً في ثواب.

أحبك للحب... لا رغبة

ولا رهبة بئس ما يافكوك

هواك هوئ لم تصفه اللغي

وأعيا النهى وتحذى الظنون

فأنت بروحي رفيف السنأ

وهمس المنى وابتسام الفتون

وتؤكد عاتكة ذلك العهد فهي ستبقى على عهد المحبة وهو دليل آخر تقدمه الشاعرة إذ أنَّ كلامها وأشعارها موجهة إلى ذلك الرجل الذي ترسم له في مخيلتها صورة (فالعهد بين الأحبة)... ولهذا استخدمت القسم إذ تقول...

شهد الله أنني أحفظ العهد

د وقلبي على الأحبة باق

أنت عندي معنى به أذكر الله وأعزو للبارئ الخالق أنا والله قد عشقتك في الله وحزنت الثواب في العشاق...

وقولها...

وليشهد الله بأني على

عهد الهوى أبقى وأني أنا...

ولا نستغرب كثيراً إذا رأيناها تكثر من الوقوف على الصور الجميلة التي تتجسد لها في الرجل. وقد يختلط الأمر عليها وهي تنظر فيما حولها. فتقع في حب الجمال والشوق إليه واللوعة لفراقه وكأنها تشكو إلى رجل بعينه فكثيراً ما تعبر عن لوعتها...

بقولها...

أفديك يا سيدي مما تعاورني

سبان في حبك الإعسار والترف

أمنت بالحب إيماني ببارئه

سبحانه جل عن قولي وما أصف

سبحانه كيف أنشأني وصورني

وكيف تتبع يائي مني الألف

وكيف كنا فصرنا... ثم كان هوئ

وحسبك السهم إذ قلبي له الهدف!

ونرى اقتباس الشاعرة من القرآن الكريم وقد وقع في شعرها كما وقع في كل شعر شعراء العربية.

قد انتهى ما بيننا إلى الأبد

يا سيدي قل ((هو الله أحد))

أخذتني أخذ عزيز قادر

يا سيد الناس ومن جد وجد

وقولها...

ورضيها منه بما ليس يرضي

((حسبنا الله وهو نعم الوكيل)):

وهنا الشاعرة تقدم دليلاً جديداً للقارئ إذ تستعين (بالله) بعد فراقتها من ذلك الحبيب حيث انتهى ما بينهما.

ولابد من الإشارة إلى أنَّ الشاعرة لا تتور على قدرها وعلى ذلتها وعلى خضوعها، بل هي راضية، قانعة سعيدة بأن تحب وأن تتعذب، وأن تكتوي وأن تحترق، تشير من بعيد وتبتهل ولا تدري إذا كانت دعوتها سوف تجاب أم لا؟ إذ نلمح عصيانها في قصيدتها (الحب الأخير)...

سأناي سأنهب لا رجعة

ترجى لحبي وأية عوده

سأنهب كالطيف في لمح

سأناي ويبقى حبيبي وحده...

وماذا عليه إذا ما ذهب

وأهون شيء أراني عنده...

ويوما سيئدم إما أفاق

فحبي الأخير ولا شيء بعده...

ويعلق الدكتور داود سلوم ويقول عن الشاعرة...

(إنها قدمت لنا _جلجاشا_ ابن الآلهة الذي لم تلمسه ولم ترسمه بوضوح. فهي لم تعطه صفة بشرية ولم تعطه إلا الجمال المطلق، ويكفي أن تقول أنه رجل، ولكن لسان حال قصائدها: نعم إنه رجل ولكن أي رجل).

ويمكن أن نمضي في تحديد خصائص هذا الغزل الصوفي الذي انشطر إلى نصفين فنصفه إلهي ونصفه بشري... فهذا الغزل غير محدد بمستوى اجتماعي وليس لهذا الموصوف أبعاد البشر الذي يتحرك بيننا وإنما هو صورة _الرجل_ الذي يعيش في قلب القديسة، هو _أدم_ كما تريده حواء، فهي في رسم صورته لا تبرهن على أنها كالشعراء الآخرين والشاعرات الأخريات، فأمرؤ القيس حدد لنا مستوى من يجب، وعمر بن أبي ربيعة حدد لنا مستوى الكثرات من اللواتي نكرهن، حدد مستواهن في الجمال والمال والمركز والرتبة والمزاج، ومثلها فعل نزار قباني، ومثلهم فعل الكثرات من الإعرابيات اللواتي تغزلن فقد حددت هؤلاء الشاعرات لرجلهن الصفات الدنيوية الصلبة والخصائص المثالية المطلوبة في مثل هذا الرجل الذي يعجب بالأنثى.

فالرجل عندهن: شجاع و كريم أو طويل أو شيطان، أو عنيف حين يخلو بهن، أو... أو... أو... إذ تقول...

عرفت بك الحب يا سيدي

كأن به تفحات الإله

أحس الخشوع بهذا الضلوع

إذا ما اسمك العذب يعلو الشفاف

كأنني وحبك يغزو دمي

تقي به رعدة من صلاه

وما أنت إلا رؤى عالم

معانيه فيها الهوى والحياة

فالشاعرة تنوب في مناجاتها وشكواها وحبها حتى لا تتخيل إلا روحاً شفافاً ترفرف على وجه من تخاطب ومن خلال هذا الحب الإلهي ترى الشاعرة العالم وتجسد في شعرها آمانياتها للتحرك من تلك التقاليد والعادات المقيدة فتترك الخوف والوجل لتنتطلق وتحلق في الأفق وهي تكتب ما حبس في قلبها الذي لا يجد حريته المطلقة غير المقيد في المناجاة.

سأموث من لَهف عليك

واحسرتاه... فَمَنْ إِلَيْكَ؟

كيف السبيل إلى لقاك؟

فأرتوي من ناظريك؟

مولاي هذي مهجتي

وقَف عليك وفي يديك؟

أترى يساعفني الزمان

تراه يشفع لي لديك؟...

ويتردد في شعرها تلك المعاني المجردة التي ولع بها الغزلون في العصر العباسي، عصر انتشار المصطلحات الفلسفية والصوفية. فمنها الروح والهوى والوحي واليقين والظنون واللفظ والقدرة والهجر والشوق واللفظ والوجد والكمد والندى والجوى والهدى. كما تتردد الصور التي ألفوها: جمال يوسف، الدر النضيد، ورد الخدود، عبير الزهر، فوح العطر، سنا البرق، سواد العين، نور البدر ورفيف القلب.

فهو مثلهم تجمع بين الأضداد وهو أحد الفنون البلاغية... حين تقول...

ويغدو على بابك الأقوياء

ويرجو مواساتك المتعبون

ويسألك الرحمة الأتقياء

ويأوي إلى ظلك المذنبون

وتحنى الجباه لعز الإله

ويخضع للكبر الكابرون...

ونلاحظ قدرة الشاعرة ومهارتها على إضافة الحشو في بعض الأحيان رغبة في إقامة الوزن...

إذ تقول...

حكمت فأقسطت في العالمين

وبالعدل فليحكم الحاكمون

فنأرك يَصلي بها الكافرون

وجنأت عدن بها المؤمنون

فلنحظ الحشو في الشطر الثاني من البيت الأول (وبالعدل فليحكم الحاكمون).

مع أن عاتكة نهلت من ثقافات مختلفة في دار المعلمين في بلاد الشرق في العراق وفي بلاد الغرب في باريس، رأت أن تحصر منابع وحيتها في الأدب العربي، لاسيما الأدب القديم. لذلك يسيطر على شعرها تأثرات واحدة لا تتبدل، ولا نلمح فيه تطوراً بين ديوان وآخر. فلملمس الرقة وسمو المعنى في شعرها على الرغم أنَّ التقليد غالب على شعرها.

فتقول...

عشقتك يا رب عَشَق الذليل

لمولى جليل عزيز المكان

وكم عند بابك طال الوقوف

وطاب لديك الهوى والهوان

وأنت جميل تحب الجمال



يعلق الدكتور داود سلوم ويقول عن الشاعرة... (إنها قدمت لنا _جلجاشا_ ابن الآلهة الذي لم تلمسه ولم ترسمه بوضوح. فهي لم تعطه صفة بشرية ولم تعطه إلا الجمال المطلق، ويكفي أن تقول أنه رجل، ولكن لسان حال قصائدها: نعم إنه رجل ولكن أي رجل).

فأني تجليت كان افتتان...

فوجهك قبلتنا في الصلاة

ونذكر تسبيحنا كل أن...

وتستمر في قولها...

أحبك فوق الهوى والفتون

وما أنا إن قلنتها مُعربه

وماذا يقول بك العاشقون

إذا كنت أيتة المعجبه

وتنشد الشاعرة...

إني لأستحيك يا سيدي

أن بئ أشكوك وأشكو إليك...

حسبك أن قد ضاق بي مرقي

من لهفة الروح ووجدي عليك

واحسرتا... أفلكته من يدي

قلبا... أما لي من شفيغ لديك؟

حسبك أن أشمئت بي حُسدي

وذي حياتي كلها في يدك...

والحديث طويل عن عشق عاتكة عشقها المادي ولهفتها للرجل وللحياة وعشقها الإلهي للإله والروح والسماء ولكن ما نشعر به من خلال تأمل أشعارها وقصائدها نجد أنَّ الشاعرة تضع في مخيلتها أنَّ هناك رجلاً من أجله تعاني وتسهر وتشكو وتتعب من لوعة الحرمان والغراق وتحاول أن ترسم في قصائدها مدى اشتياقها وانتظارها للقاء بذلك الرجل الذي ترسم وتكتفي بصورة وهمية له في قلبها حيث تتنفس الشاعرة ما تريد التعبير عنه والشوق لذلك الرجل الذي أقسمت بالله على البقاء على عهدها بأن تبقى وفيه محبة عاشقة فهي تتغزل بطريقة صوفية إذ تناجي وترجو وتكلم مع الإله إذ توهم القارئ أنَّ محبتها للإله تشغل عقلها وقلوبها فهي تحرر ما حبس في داخلها وتنطلق لتخطي القيود وتطلق العنان لقلوبها وهي تكتب ولعل ما عانته الشاعرة من غربة ووحدة وعدم استقرار دفعها لاستخدام هذا الغطاء النفسي في قصائدها فلم تجد غير هذه الوسيلة التي تخفي وراءها آمانيات امرأة حُرمت من نيران ودفء الحب الصادق ومن تحقيق رغباتها.

وبذلك أرادت الشاعرة أن تتشبه بالصوفيّات وتقلدهن من أمثال رابعة العدوية وغيرها من الزاهدات ولكونها عاشت في أرقى دول العالم لجأت إلى هذه التغطية لسلوك المرأة الحضارية وإني أرى أن نتيجة ما مرت به الشاعرة من تجارب وعلاقات مختلفة انعكس على شعرها إذ كانت تعيش في مجتمع تحكمه القيود والعادات الاجتماعية وبعد سفرها أصبح عقلها حراً وأفكارها حرة الأمر الذي أدى إلى حدوث صراع بين جسدها وعقلها. ولابد من الإشارة إلى أنَّ لغة الشاعرة بسيطة وقصائدها واضحة ليس فيها غموض أو تعقيد ونلاحظ الإيقاع الموسيقي المؤثر للأبيات الشعرية لتحقيق التأثير في نفس القارئ.

المصادر

١. أعلام الأدب والفن، أدم الجندي/ دمشق/ ١٩٥٨.

٢. أدب المرأة العراقية/ بدوي احمد طبانة/ القاهرة/ ١٩٤٧.

٣. شاعرات عراقيات معاصرات/ سلمان هادي آل طعمة/ الطبعة الثانية/ ١٩٩٥.

٤. المجموعة الشعرية الكاملة (ستة دواوين ومسرحية) ١٩٥٧-١٩٨٦م/ شعر الدكتور عاتكة الخزرجي.

٥. المرأة في أفق الأدب العربي، أ.د. داود سلوم/ بغداد ١٩٤٢٣-٢٠٠٢م.

٦. موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين/ حميد المطبي/ وزارة الثقافة والإعلام/ دار الشؤون الثقافية العامة ط١/ بغداد ١٩٩٥.

٧. نسيمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر/ روز غريب/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١/ ١٤٠٠-١٩٨٠م.

العدد (2896)

السنة العاشرة

الخميس (19)

أيلول 2013

الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي



مير بصري

كل شيء خلقه ومنح كل جميل جماله.. "أن الشبابية من قصب، ولكن اللحن من نار، فكلما نفخت فيها من روحها ذاب قلبها في حبها، فتثن أو تحصن أو تشكو أو ترجو أو تنور بالفاظ منسقة كالنغم، مونقة كالزهر، منمقة كالوشي، تسري فيها المعاني الشاعرة سريان النشوة في الرحيق أو الفوحة في الطيب. فاسلوبها نسق مطرد من الفكر والخيال والعاطفة، يصلقه طبع وذوق، ويقومه درس واطلاع..."

تحدثت عاتكة وهبي الخزرجي فقالت انها تستمد موارد ادبها من الشعر العربي الاصيل قديمه وحديثه، وان اساتذتها فيها كثر اولهم البحري، وهي معجبة اشد الاعجاب بالشريف الرضي واحمد شوقي. وقد مارست النقد الادبي والقصة القصيرة. وعلى الرغم من اطلاعها الواسع على الاداب الغربية، لم تخرج على نظام القصيدة العربي القديم.

قال عنها خالد القشطيني انها شاعرة محافظة فكريا واسلوبيا، وقد التزمت بالاشكال الكلاسيكية للشعر العربي، ودعت الى التمسك بالقيم الاسلامية والتقاليد العربية.

وقال: "ومما يذكر انها حين تمضي الى القاهرة، وكثيرا ما تزورها، تقيم في دير وتمتنع عن النزول في محل اكثر ترفا".

وقال انها بالرغم عن حبها العميق لبلادها وشعبها ودينها وثقافتها وتقاليدها لم تستطع عاتكة إلا ان تشعر بشعور الخيبة، شأن سائر المثقفين المعاصرين للضعف والنقص اللذين يتسم بهما المجتمع الجديد. وقد عبرت عن هذا الشعور مرارا في قصائدها.

عن كتاب اعلام الادب في العراق الحديث

وشطحاتها الصوفية فيها كثير من الالم والحب والنزوع وسائر ما يطفح به شعر مرسلين دييورد من الاشواق الروحية. قالت الخزرجية: بلوت من الأيام كل عظيمة، وحبي أني قد ولدت بماتم! وكانت اغاني المهدي لي رنة الأسى ووقع نحيب قد برى قلب أيم ولقنت في مهدي سجل مأمتي وكم هالني فصل الشقاء الجسم وردت عليها الشاعرة الفرنسية من وراء حجب السنين، بقصيدتها "الى اللواتي يتجنبن"، قائلة: "انن اللواتي يتعذبين، لقد اخترتكن لي اخوات، واليكن تتوجه احلامي الساجية والحلاوة المرة لدموعي المغناة.

ففي هذا الكتاب روح تكمن اسيرة. اقتحن واقرآن، واحسن الايام التي حملت لنفسي الالم.

ايتهنا الباكيات في هذا العالم الذي مررت به جهولة، احلمن على هذا الرماذ وغمسن فيه قيودكن. اطلقن اصواتكن في الغناء، فالحان المرأة تشجي العذاب.

احبين، فالبعض يؤلم اكثر من الحب. وامدن ايديكن بالعطاء، فالصدقة تحيي الأمل، فمن يستطيع العطاء لا يريد الموت...".

وقال احمد حسن الزيات: "ان الينابيع الصافية الثرة التي ارتوى على فيضها واغتدى على جناها شعر الدكتورة عاتكة هي: الله والطبيعة والنفس. والينبوع القدسي هو اندى على كبدها وأروى لشعورها من الينبوع النفسي والينبوع الطبيعي لأنها حين تصف النفس او تصور الطبيعة يتمثل فيها بديع السموات والأرض الذي احسن

جزيرة الغاللوب النائية في بحار اميركة الوسطى لاستيفاء إرث عائلي، بيد انها عادت من رحلتها المضنية اشد فقرا. وتوفيت والدتها، فقست عليها الحياة، وشردتها، وقسا عليها الحب فاورثها السقم والعناء. ثم لقيت شريك حياتها في بروكسيل، فكانت مثال الروح الصالحة والام الحنون، وهددت اطفالها واطفال فرنسة عامة بالحن شجية تفيض رقة وعذوبة. ان مارسلين دييورد التي عرفت بشقيقة الشعراء الروحية قد بلغت - كما قيل - قمة الشعر الوجداني بلا تكلف، وكانت وسيلتها نفسها المرسله على سجيته وعواطفها المرفهة. وقد دعها الشاعر تيودور دي بانفيل قائلا:

"ايتهنا الميتة العريضة، التي جاعت روحها وظلمات الى سماء الازورد، يامارسلين، هل ترقيدين في تربة التل الباردة؟

هل وجدت الهدوء اخيرا؟".

فأرت الشاعرة الفرنسية قصيدة الشاعر الفارسي عبد الرحمن جامي الذي سبقها بثلاثة قرون، تلك القصيدة التي يغزل فيها بحبية مجهولة لم ترها عيناه واشتاتت اليها روحه عبر الاثير، فاجابته بقصيدة تقطر لوعة وتلهفا وتشوقا. قالت:

"حينما تتعذر علي رؤياك، يرهقني الزمان وتثقل الساعة كاهلي بعبء انوء بحمله.

واشعر بقلبي يذوب وكأنه يزمرع مغادرة ضلوعي، وينحني رأسي، فاشقى وانخرط في البكاء.

وحين يهتف صوتك المدوي في قرارة ذاكرتي، ارتجف واصغي بلا حراك، ويمتلك الرجاء قيادي.

وكان الله يمس قصبة واهية، وانا بكل حواسي اجيب قائلة: اللهم، فليات!!

وكانت باكورة شعرها صرخة مدوية تترجم عن اليم والذل والشقاء فقالت: وألقت علي الأم نظرة أيم قرأت بها يتمي وتاريخ حسرتي وكم كنت أسي إذ اشاهد طفلة تصيح: أبي أن يبتديها بطفلتي فأسرع في ذل ويأس ولهفة اسائل امي إذ اغلب دمعتي: حنانيك يا امي، امالي من أب؟ امالي من كف تكفك عبرتي؟

وشعرها قوي رصين التزمت فيه الطريقة العمودية الاصيله وغلّب عليه الحزن والتفجع والالام. ونزعت الى التصوف فنظمت في الزهد والعشق الالهني قصائد من عيون الشعر. وقد اشبهت الشاعرة الصحابية عاتكة بنت زيد العدوية التي رثت قريبها عبد الله بن ابي بكر الصديق قائلة:

فأليث لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك خذي اغبرا

واعادت على طريقة العصر سيرة رابعة العدوية الشاعرة الناسكة الصالحة التي سكرت بخمرة الهيام الالهية وزهدت في الحياة الدنيا وقالت: "اكنموا حسناكم كما تكتمون سيئاتكم".

نشرت عاتكة مسرحية شعرية بعنوان "مجنون ليلي" (١٩٦٣) ودواوين: انفاش السحر (١٩٦٣) افواف الزهر (١٩٧٦) لألاء القمر (١٩٦٥).

ان شعر الخزرجية الحزين الرقيق ليسبه في امواجه المتضاربة ونغماته الساجية شعر مارسلين دييورد فالمرور (١٧٨٥ - ١٨٥٩) التي رتلث اناشيد الأسى والحب الصوفي ولواعج النفس على قبثارة الشعر الفرنسي. ولدت هذه الشاعرة في احضان اسرة مرفهة، لكن الثورة الفرنسية التي نشبت، وهي طفلة، حملت الى ألها البؤس والشقاء. وارسلت الفتاة الى

شاعرة الحزن والنجوى والتأمل والتقوى عاتكة وهبي الخزرجي، ولدت في بغداد في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٦، وكان والدها وهبي الأمين الخزرجي ضابطا في الجيش التركي برتبة قائممقام (عقيد) واصبح متصرفا للموصل سنة ١٩٢١ فمتصرفا للسواء ديالى، وتوفي بعد ذلك وعمر ابنته لا يتجاوز ستة اشهر.

ذاقت عاتكة مرارة اليم طفلة فتشأت ميالة الى الشجو والأسى. وانتمت الى دار المعلمين العالية فتخرجت فيها سنة ١٩٤٥ وعينت مدرسة للغة العربية في بعض مدارس البنات الثانوية. وارسلت بعد ذلك لإتمام دراستها في جامعة السوربون في باريس (١٩٥٠) فحصلت على شهادة الدكتوراه في الاداب (١٩٥٦)، وكان موضوع اطروحتها العباس بن الاحنف الشاعر الغزلي الرقيق، وكانت عاتكة قد حققت ديوانه ونشرته في القاهرة سنة ١٩٥٤.

وعادت الى بغداد فعينت مدرسة بدار المعلمين العالية التي اصبحت فيما بعد كلية التربية، وواصلت الدكتورة عاتكة التدريس في كلية الاداب بجامعة بغداد. وسافرت الى باريس في صيف سنة ١٩٧٠ للقيام ببحوث ادبية وعادت الى بغداد بعد امد قصير.

قال الدكتور صفاء خلوصي في كلمته عن هذه الشاعرة في مجلة الجمعية الاسبوعية الملكية المصادرة في لندن (١٩٥٠) ما ترجمته: "ان عاتكة بدأت حياتها فتاة حبية لم تكن لتتغلب على خجلها الا حين كانت تلقي خطابا او تتلو بعض اشعارها. وكانت تضع الحجاب حتى في ساعات الدرس، لكنها سرعان ما تبدلت حالها ورأى العراق فيها امرأة حرة ناثرة". نظمت عاتكة وهبي الشعر صبية،

المباركة، بالقرب من البيت الحرام، وفي (منى) على وجه التحديد، خلال أيام التشريق، وأما الزمان فهو عام ١٩٧٦.

جاءت حاجة بيت الله الحرام، وهي الشاعرة المرحمة التي أجادت في كل ما نظمته، وفي جميع الأبحاث العلمية التي اضطلعت بها في الجامعة العراقية وفي جامعة السوربون الفرنسية في أواسط الخمسينات من القرن الفائت.

أذكر أننا كنا في بسطة واسعة فوق إحدى العمارات، تجمع في أرجائها عدد كبير من الإعلاميين والأدباء العرب ومن ضيوف المملكة العربية السعودية. وأذكر من بين الضيوف الرئيس الموريتاني السابق المختار ولد دادة، والمقرئ المصري الشهير مصطفى إسماعيل صاحب الصوت الرخيم، والداعية شعراوي جمعة، صاحب التفسير القرآني الباهرة.

قرأت علينا قصيدة صوفية فأنصتنا إليها والتساؤلات ترتسم على صفحات وجوهنا، ونحن لا ندري أنطرب لما جاء في القصيدة أم لذلك الصوت المحتشم الذي أعاد إلينا في تلك اللحظات صورا من حياة الشاعرات العربيات في العهد الإسلامي الأول. وما كنت أدري يومها من تكون تلك الشاعرة، غير أنني ما إن عدت إلى الجزائر حتى تحدثت إلى أحد الأصدقاء الذين درسوا في الشرق الأوسط خلال حرب التحرير، فقال لي بصوت فيه الكثير من الإعجاب، وكأنه كان حاضرا معنا في تلك الليلة الشاعرية الرقيقة: إنها الدكتورة عاتكة الخزرجي، ذات النسب العربي الصريح، وصاحبة الشعر المهفوف.

وعلمت من صاحبي أيضا أنه درس عليها في جامعة بغداد، وتعلم منها الشيء الكثير عن الأدب العربي، وخاصة منه شعر المتصوفة، من أمثال الحلاج وابن الفارض وابن عطاء الله السكندري والنفري وغيرهم.

وها أنا ذا اليوم أعثر على بعض شعرها ضمن منتخبات جميلة جمعها أحد الباحثين العرب بغاية تقديم نماذج معينة من إبداع الشاعرات العربيات منذ العهد الجاهلي إلى أيامنا هذه. وأجد في نفسي حاجة كبيرة للترحم على روح تلك الشاعرة الرقيقة التي انتقلت إلى رحمة الله في عام ١٩٩٧ فهل من يحتفي اليوم بذكرها في الجامعات العربية وفي كتب النقد وفي المنتديات الأدبية مشرقا ومغربا؟

عن موقع الحوار المتمدن

الشعر من وراء حجاب

قرأت علينا الشعر من وراء حجاب، فاستمتعنا بما قرأت، وراقنا صوتها المحتشم. وتذكرنا في تلك الغمرة من الانتشاء شاعرات العرب منذ عهود الجاهلية الأولى إلى العصر الحديث. أما قارئة الشعر، فهي الأديبة العراقية الدكتورة عاتكة الخزرجي، (١٩٢٣-١٩٩٧)، وأما المكان فهو الأرض



نائب رئيس التحرير: علي حسين

الإخراج الفني: نصير سليم

طبعت بمطابع مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

شخصيات في الذاكرة العراقية:

عاتكة وهبي الخزرجي.. شاعرة الشهد الصافي!

سميرة عبد الواحد

تباركت يانخلة الشاطئين
ويااية الاعصر الخالية
نهلت الخلود من الرافدين
تبوركت سقية ساقية
ترفين في افكك الشاعر
رفيف الزهور على الرابية

ولدت الشاعرة عاتكة وهبي الخزرجي في بغداد سنة (١٩٢٤) بقيت تحت رعاية امها اذ توفي والدها بعد سنة اشهر من ولادتها ونشأت في بيت مليء بالدفء والحنان العائلي، ادخلتها والدتها المدرسة وهي في حداثتها، فاستمرت في دراستها واثناء ذلك برزت موهبتها العالية في الشعر العربي فكان لها خيالاً واسعاً وعذبا في نظم الشعر العربي..

في عام (١٩٤٥) تخرجت من دار المعلمين العالية، وعينت مدرسة في احدى المدارس الثانوية في بغداد وكان اختصاصها في تدريس (الادب العربي).

وفي عام (١٩٥٠) سافرت الى باريس والاقامة فيها لفترة طويلة تحمل في داخلها معاناة الغربة والتطواف في البلدان، اذ كانت تقرأ امام عينها مدينتها الجميلة الحبيبة (بغداد) وتتوارد الى خاطرها ذكريات الطفولة فكان لكل هذا الاثر الكبير في شعرها الذي اتسم بالواقعية بعيداً عن الخيال.. عادت الشاعرة عاتكة الى وطنها بعد حين طويل لتساهم في بناء بلدها من خلال مهنة الارشاد- وسائل الايضاح التعليمية، ثم مالبت ان سافرت ثانية الى مصر سنة (١٩٥٤) للحصول على شهادة الدكتوراه في (الادب) بدرجة الامتياز وبعد فترة عملت مدرسة في كلية التربية بجامعة بغداد قبل ان تحال الى التقاعد..

وتعد عاتكة الخزرجي من ابرز شاعرات العراق في العصر الحديث . ضم شعرها بين قوافيه روح بغداد وعشقها وصوفيتها وشوقها للماضي وصبايتها للحاضر، مع ان الشاعرة عاتكة الخزرجي نهلت من ثقافات مختلفة في دار المعلمين ومن خلال سفرها خارج البلاد. فأنها قد حصرت ادبها وشعرها في الادب العربي فقط، وكان في شعرها نزعة تقليدية لتأثرها بالعباس بن الاحنف والمنتبي، والطابع القصصي ابرز ما يتسم به شعرها وفيه نغمة وموسيقى رائعة. اذ القارئ يجد في شعرها قوة المعنى وترابط الابيات لذا فهي لم تبخس حقهما بل اشارت بالنعم الجسام. ونجد هذا كله في الابيات التالية من قصيدتها (امي) المنشورة في مجلة (عالم الغد) البغدادية عام ١٩٤٦ فتقول..

اما هو اك فلست من انساها

يوما اذا نسي المحب هواه
ابد اراه تعير بين جوانحي
حبا لان جوانحي مأواه
يدري الوري خبري ولا من لائم
فهواك ما يدعو اليه الله
ولها ايضا قصيدة (الالم الصامت) المنشورة في جريدة (القدوة) الكربلائية عام ١٩٥٦ فتقول..

بلوت من الايام كل عظيمة
وحسبي بأني قد ولدت بيماتي
وكانت اغاني المهد لي رنة الاسى
ووقع نحيب قد يرى قلبي ايم
وابصرت عن قربي خيالا مهديا
يغالب دمعا بين جفن مورم
اما اسلوب شعرها فهو بعيد عن التكلف والتصنع فهو اصيل يغلب الاسلوب القصصي على عدد من قصائدها، واستطاعت عاتكة ان تحشد في مسرحيتها (مجنون ليلي) مواكب الاطياف الرائعة وقدمت صورة واضحة وصادقة لحواء مع براعة في الايقاع والنغم.. ونهجت فيها نهج الشاعر احمد شوقي ومن شعرها (في مأساة فلسطين):

اليك عن الشكوى فلسطين اننا
نفوس ستحيا او تكون حطاما
نفوس ابت ان تستكين لغاتح
يرى الظلم دينا والسفاه اماما
ولها في نشيد الامومة:
انت معنى الحب بل معنى الحياة
انت نور فاض من نو الاله
انت يا امام من قلبي مناه
ايعيش المرء من الامل
انضمت الشاعرة عاتكة الى نادي القلم سنة ١٩٥٧ ومن اثارها المطبوعة:

-ديوان العباس بن الاحنف القاهرة ١٩٥٤م.
-انفاس السحر شعر/ القاهرة ١٩٦٣م.
-لألاء القمر/ الشعر/ القاهرة ١٩٧٥م.
-مجنون ليلي (مسرحية شعرية).
-حياة العباس بن الاحنف وشعره (بالفرنسية)
وترجم الى العربية ونشر عام ١٩٧٧م في بغداد..

ولها اثار مخطوطة منها:
- الانسة في (بحث تحليلي)
-مجموعة قصص ومقالات، واطياف السحر، شعر مخطوط واخر مطابع لها (شعر عاتكة الخزرجي) المجموعة الشعرية الكاملة سنة دواوين ومسرحية عام (١٩٨٦) م
رحلت عاتكة الخزرجي عام ١٩٩٧ تاركة ارثاً يزخر بالادب وشعرا رقيقا جسد الوطن الذي سكن روحها وخيالها ومعزوفة جميلة تترنم بها الاجيال..

عراقيون

